مقصد الأمن الفكري عند الطاهر بن عاشور وأثره على الواقع المعاصر

دراسة تحليلية

دكتور/ محمد ممدوح شحاتة خليل

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية

كلية الآداب- جامعة المنيا

ملخص البحث:

يُبرز هذا البحث مكانة وأهمية الإمام محمد الطاهر بن عاشور (١٨٧٩-١٩٧٣م) من خلال تحليل بعض نصوصه، فهو لم يكن مجرد عالم دين، بل كان مفكرًا مقاصديًا، ومصلحًا اجتماعيًا، سعى إلى تجديد الفكر الإسلامي وربطه بواقع الأمة المعاصر، مع التركيز بشكل خاص على الأمن الفكري.

وهذا البحث يوضح جوهر فكر الطاهر بن عاشور؛ من خلال ربط اجتهاداته بترسيخ مفهوم الأمن الفكري، فهو يرى أن الأمن الفكري هو الركيزة الأساسية لاستقرار المجتمعات، لأنه يُعنى بتشكيل العقول وحمايتها من الأفكار الهدامة، وهذا الأمن لا يتحقق إلا بتصحيح العقيدة، وإعلاء قيمة العقل والعلم، وترشيد العاطفة.

ويؤكد ابن عاشور على أن القرآن الكريم ببيّناته ومعجزاته، يدعو إلى إعمال العقل، ويدحض الشبهات، ويُرسّخ التوحيد كأصل لصلاح البال، مما يورث الطمأنينة ويقوّي البصيرة، كما بين البحث تشديد ابن عاشور على أهمية محاربة الانحرافات الفكرية، كاشفًا زيف المفسدين الذين يتخفون بثوب المصلحين، ويرى أن المناظرة القائمة على الحجة والبرهان هي أداة فعالة لإقرار الحق وتفنيد الباطل، مما يعزز الأمن الفكري والمجتمعي، كما أن تحذيرات الطاهر بن عاشور من الغزو الفكري وضرورة يقظة المجتمع؛ تُظهر بُعد نظره في حماية الهوية والثقافة.

ومن خلال هذا البحث يمكن القول: إن الطاهر بن عاشور قدم إطارًا فكريًا متكاملاً لتعزيز الأمن الفكري، ويُعدّ مرجعًا حيويًا لمعالجة التحديات الفكرية المعاصرة، ويُسلح الأمة بمنهج أصيل لتحقيق الأمن الفكري الشامل الذي يؤدي إلى صلاح الفرد والمجتمع.

الكلمات المفتاحية: (الأمن الفكري-الطاهر بن عاشور-الفكر المقاصدي)

Abstract:

This research highlights the significant stature and importance of Imam Muhammad al-Tahir ibn Ashour (١٨٧٩-١٩٧٣) by analyzing some of his texts. He was not merely a religious scholar, but a maqasidi thinker and a social reformer who sought to renew Islamic thought and connect it with the contemporary reality of the Ummah, with a particular focus on intellectual security. The study clarifies the essence of his thought by linking his jurisprudential efforts to the establishment of the concept of intellectual security.

Ibn Ashour posited that intellectual security is the fundamental cornerstone for societal stability, as it concerns itself with shaping minds and protecting them from destructive ideas. This security, he argued, can only be achieved through correcting creed, elevating the value of intellect and knowledge, and rationalizing emotions. He emphasized that the Holy Quran, with its clear proofs and miracles, calls for the exercise of reason, refutes ambiguities, and solidifies Tawhid (monotheism) as the origin of a sound mind, which in turn instills tranquility and strengthens insight.

The research also demonstrates Ibn Ashour's emphasis on the importance of combating intellectual deviations, exposing the falsehood of corrupt individuals who disguise themselves as reformers. He viewed debate (munazara), based on evidence and proof, as an effective tool for establishing truth and refuting falsehood, thereby enhancing both intellectual and societal security. His warnings against intellectual invasion and the necessity of societal vigilance reveal his foresight in protecting identity and culture.

In conclusion, this research argues that Tahir ibn Ashour provided a comprehensive intellectual framework for promoting intellectual security. His work serves as a vital reference for addressing contemporary intellectual challenges and equipping the Ummah with an authentic methodology to achieve holistic intellectual security, leading to the betterment of the individual and society.

Keywords: Intellectual Security - Tahir ibn Ashour - Maqasidi Thought

مقدمة:

يُعدّ الأمن الفكري ركيزةً أساسيةً لاستقرار المجتمعات وازدهارها، فهو الحصن المنيع الذي يحمي الأفراد من الانحرافات الفكرية ويزودهم بالحصانة ضد الأفكار الهدامة التي قد تعصف بكيانهم العقدي والاجتماعي، وفي ظل التحديات الفكرية المتزايدة التي يشهدها العالم المعاصر تبرز الحاجة الملحة إلى العودة لمدارس الفكر الإسلامي الأصيلة، التي أسست لمفاهيم عميقة في هذا المجال.

ويُعدُّ الإمام محمد الطاهر بن عاشور (١٨٧٩-١٩٧٣م) من أبرز العلماء والمفكرين الذين أولوا المقاصد الشرعية أهميةً كبرى، ومن المتوقع أن يكون لمقصد الأمن الفكري حضورٌ لافتٌ في منهجه التفسيري والمقاصدي.

وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن مفهوم مقصد الأمن الفكري عند الطاهر بن عاشور من خلال تحليل نصوصه، وخصوصًا في تفسيره "التحرير والتنوير"، كما تسعى إلى بيان الأثر العملي لهذه الرؤى المقاصدية في معالجة الإشكاليات الفكرية المعاصرة، وتقديم حلول مستنيرة للتحديات التي تواجه المجتمعات اليوم.

من خلال هذه الدراسة التحليلية، سنسعى إلى تسليط الضوء على الأبعاد العقلية والعقدية والعاطفية التي تُشكّل الأمن الفكري في كتابات الطاهر ابن عاشور، وكيف يمكن تطبيقها لتعزيز استقرار الفرد والمجتمع في واقعنا الراهن.

أهمية البحث: تكمن أهمية هذا البحث في جوانب متعددة، أبرزها:

- **الأهمية العلمية:** يسد هذا البحث ثغرة في الدراسات الأكاديمية التي تناولت فكر الإمام محمد الطاهر بن عاشور، بتركيزه على جانب مقصدي حيوي وهو الأمن الفكري، ويضيف البحث إلى المكتبة الإسلامية دراسة تحليلية تجمع بين أصالة التراث المقاصدي لابن عاشور ومعالجة قضايا معاصرة، مما يفتح آفاقًا جديدة للبحث في هذا المجال.
- **الأهمية العملية:** يقدم البحث إطارًا مرجعيًا عمليًا للمؤسسات الدينية، والفكرية، والتربوية، والاجتماعية في كيفية التعامل مع التحديات الفكرية المعاصرة، ومن خلال استلهام رؤى ابن عاشور المقاصدية، يمكن للمجتمعات بناء حصانة فكرية لأفرادها؛ مما يساهم في مكافحة الغلو والتطرف، والانحرافات الفكرية التي تهدد استقرار الأفراد والمجتمعات.

منهج البحث:

تعتمد هذه الدراسة على منهج بحثي مركب يجمع بين عدة مقاربات؛ وذلك لضمان تحقيق أهداف البحث، والإجابة على تساؤلاته بشكل شامل وعميق:

أولا: المنهج الاستقرائي: ويُستخدم هذا المنهج في هذه الدراسة لتتبع واستقراء النصوص المتعلقة بمفهوم الأمن الفكري ودلالاته في مؤلفات الإمام الطاهر بن عاشور، وخاصة تفسيره "التحرير والتنوير" وكتابه "مقاصد الشريعة الإسلامية"، حيث تُجمع كل الإشارات المباشرة وغير المباشرة التي تُعالج قضايا سلامة الفكر، والعقيدة، والعقل، ومواجهة الانحرافات.

ثانيا: المنهج التحليلي: وبعد جمع النصوص ذات الصلة، يُوظف هذا المنهج التحليلي لتفكيك تلك النصوص، واستخلاص دلالات مقصد الأمن الفكري عند ابن عاشور، ويتضمن ذلك تحليل استنباطاته للمقاصد، وكيفية ربطه بينها وبين حماية الفكر، وكشف آلياته في معالجة الانحرافات الفكرية، وتبيان تأثير ذلك على استقرار الفرد والمجتمع.

خطة الدراسة:

اقتضت طبيعة البحث أن يكون من مقدمة، وأربعة مباحث:

المبحث الأول: الأمن الفكري (تحرير المصطلح وتطوره)، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف اللغوي للأمن الفكري.

المطلب الثاني: التعريف الاصطلاحي للأمن الفكري.

المطلب الثالث: تطور مفهوم الأمن الفكري ونشأته.

المبحث الثاني: أهمية الأمن الفكري في الواقع المعاصر، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: قيمة الأمن الفكري وأهميته المحورية في حياة الأفراد والمجتمعات.

المطلب الثاني: ضرورة وأهمية الأمن الفكري في الواقع المعاصر.

المبحث الثالث: الطاهر بن عاشور وفكره، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ترجمة الإمام الطاهر بن عاشور.

المطلب الثاني: فكر الإمام الطاهر بن عاشور.

المبحث الرابع: الأمن الفكري عند الطاهر بن عاشور، وأثره على الواقع المعاصر، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: حفظ العقيدة وعلاقته بالأمن الفكري عند الطاهر بن عاشور.

المطلب الثاني: معالجة الانحرافات الفكرية وعلاقتها بالأمن الفكري عند الطاهر بن عاشور.

المطلب الثالث: المناظرة ودورها في تعزيز الأمن الفكري عند الطاهر بن عاشور.

المطلب الرابع: ترشيد العاطفة وطمأنينة النفس ودوره في تعزيز الأمن الفكري عند الطاهر بن عاشور.

الخاتمة: وبها أهم نتائج البحث وتوصياته.

المبحث الأول: الأمن الفكري (تحرير المصطلح وتطوره)

المطلب الأول: التعريف اللغوي للأمن الفكري:

أولا: كلمة "الأمن"

قال ابن منظور: أمن ، الأمان والأمانة، بمعنى، وقد أمنت فأنا أمن، وآمنت غيري، من الأمن والأمان، والأمن ضد الخوف، والأمانة ضد الخيانة، والإيمان ضد الكفر، والإيمان بمعنى التصديق ضده التكذيب، يقال: آمن به قوم وكذب به قوم، قال ابن سيده: الأمن نقيض الخوف، أمن فلان يأمن أمنا(١).

وقال صاحب "الصحاح": أمن، الأمان، والأمنة، بمعنى، وقد أمن من باب فهم وسلم، وأمانا وأَمَنَة بفتحتين، فهو آمن وآمنه غيره من الأمن والأمان، والإيمان التصديق، وقال: "الأمن ضد الخوف، والأمنة الأمن، كما مر، ومنه قوله تعالى: (أمنة نعاسًا)، والأمنة أيضا: الذي يثق بكل أحد، وكذا الأمنة بوزن الهمزة، وأمنه على كذا وأتمنه(٢).

ومن خلال المعاني اللغوية السابقة لكلمة "الأمن" نرى أنها ترمي إلى معنيين هما:

المعنى الأول: السكون القلبي والهدوء النفسي.

قال ابن فارس: "الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان؛ أحدهما: الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر: التصديق"(٣).

وقيل: "الأمان والأمانة بمعنىً، وقد أمِنْتُ فأنا آمن، وآمنت غيري من الأمن والأمان ... والأمن ضد الخوف"(٤).

المعنى الثاني: الثقة والطمأنينة.

قال الزمخشري: "فلان أَمَنَةٌ، أي يأمَنُ كل أحد ويثق به، ويأمنه الناس ولا يخافون غائلته"(٥).

ومن خلال ما تقدَّم من كلام وأقوال أهل اللغة وأرباب البيان يتَّضِح أنَّ للأمن في لغة العرب إطلاقات عِدَّة؛ فهو يعني: "الطمأنينة وعدم الخوف، والثِّقة وعدم الخيانة."

فالأمن يعني الحماية من الخوف، يقال: بلد آمن يعني في حماية وأمان، وينعم بالطمأنينة والاستقرار، ومن ثم فإن الأمن الفكري يعني: **حماية الفكر على المستوى الفردي**

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور(ت٧١١هـ)دار المعارف القاهرة، (د.ت)،

(٢) مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون بيروت، ١٤١٥ هـ، طبعة جديدة، (٢٠٧١/٥).

(٣) معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٩٩م، (١٣٣/١).

(٤) مختار الصحاح (٢٠٧١/٥).

(٥) أساس البلاغة لأبي القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، دار الفكر– ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، ص: ١٠.

والجماعي مما يريبه ويؤدي إلى انحرافه عن الطريق الصواب، أو حماية الفكر والعقل من أي تهديد داخلي أو خارجي[١].

كما يمكن تعريف الأمن بالنظر إلى مقاصد الشرع بأنه: **الحال التي يكون فيها الإنسان مطمئنًا في نفسه، مستقرًا في وطنه، سالمًا من كل ما ينتقص دينه، أو عقله، أو عرضه، أو ماله.**

ثانيا: كلمة (الفكري):

جاءتْ مادَّة (فكر) في "لسان العرب" بمعنى إعمال الخاطر في الشَّيء، ورجل فِكِّير: كثير الفِكْر[٢]، وقال الجوهري: التَّفَكُّر التأمل[٣].

وفي "المعجم الوسيط"[٤]: يستعمل الفِكرُ في الأمور المعنوية، وهو فركُ الأمور، وبحثها للوصول إلى حقيقتها.

وجاء عند ابن فارس: الفاء والكاف والراء: تردّد القلب في الشيء، يقال: تفكَّر، إذا رَدَّدَ قلبه معتبرا، ورجل فكير: كثير الفكر[٥]، والفكرة هي إجهاد الخاطر في الشيء[٦].

وقد وردت مادة (فكر) في القرآن الكريم في نحو عشْرين موضعًا[٧]، ولكنَّها جاءت بصيغة الفعل، ولم ترد بصيغة الاسم أو المصدر؛ قال تعالى:﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾[٨]، وقال تعالى: ﴿أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ﴾[٩]، وقال تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١٠].

ومن هنا نرى أن كلمة الفكر في اللغة تعني التفكر، والتأمل، والتدبر بالحواس، وغيرها.

والفكر هو القدرة على الكشف، والتعميم، والتجربة، والتأثير، والتغيير[١١].

والفكر عندما يستخدم كمصطلح علمي إنما ينصرف إلى المساهمة الإنسانية في المعرفة، ونعني بذلك أن هذا المصطلح بخصائصه ليس من الملائم أن يطلق على المعرفة[١٢].

---

(١) تحديات الأمن الفكري في ضوء المفاهيم الإسلامية: حسن السيد حامد خطاب ،ضمن سلسلة (من قضايا الفكر المعاصر)، (بدون ناشر)، ٢٠٠٩ م، ص٤.

(٢) لسان العرب: ٦٥/٥.

(٣) تاج اللغة وصحاح العربية ٣٤٧/٢.

(٤) المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس وآخرون، طبعة المكتبة الإسلامية، استانبول (تركيا)، ط٢، (بدون تاريخ)، مادة (فكر)، ٦٩٨/٢.

(٥) معجم مقاييس اللغة: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٥هـ)،تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت،ط١٤١١،١هـ،مادة (فكر)،٤٤٦/٤.

(٦) دائرة معارف القرن العشرين: محمد فريد وجدي، دار المعرفة،ط٣ ،١٩٧١م،٣٥٦/٧.

(٧) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا،(د.ت)،مادة (فكر)،ص٥٢٥.

(٨) سورة المدثر: آية رقم(١٨).

(٩) سورة الأنعام: من الآية رقم (٥٠).

(١٠) سورة الأعراف: من الآية رقم(١٧٦).

(١١) موسوعة السياسة: عبد الوهاب الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط١٩٩٥،٣م، ٥٦٤/٤.

(١٢) تراث المسلمين العلمي في الاقتصاد (المساهمة العربية العقلانية):رفعت السيد العوضي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث،الإمارات،ط١، ٢٠٠٥م،ص ٢٩.

قال العلامة الشنقيطي ــ رحمه الله تعالى: (التفكر: التأمل، والنظر العقلي، وأصله: إعمال الفكر)[١].

وقال الإمام الطبري ــ رحمه الله تعالى: إن أهل الفكر هم أهل التمييز بين الأمور، والفحص عن حقائق ما يعرض من الشبه في الصدور[٢].

وهكذا يتضح لنا من التعريفات السابقة لكلمة (الفكر، والتفكر، وأهل الفكر) حقيقة وأصل الكلمة، وأن هناك نتيجة مهمة، وهي: أنّ الإسلام حينما دعا إلى التفكر، في مثل قوله ﷻ: ﴿فَاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣]، وقوله ﷻ: ﴿ **إِنَّمَا مَثَلُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[٤]، وقوله ﷻ: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[٥]، وقوله ﷻ: ﴿ **لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا القُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[٦]، وقوله تعالى ﷻ: ﴿ **أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾[٧]، وقوله ﷻ: ﴿ **أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ**﴾[٨]، وقوله ﷺ في حديث رؤية الله، يوم القيامة الطويل: «.. فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك، وصليت وصمت وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع، فيقول: هاهنا. إذا قال: ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك، **ويتفكر في نفسه** من ذا الذي يشهد عليّ ؟ فيختم على فيه، ويقال: لفخذه ولحمه وعظامه، انطقي، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي يسخط الله عليه»[٩]، وقوله ﷺ: «تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في الله، فإنكم لن تقدروا قدره»[١٠].

---

(١) أضواء البيان، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، ١٦٨/٦، طبعة١٤١٥هـ، طبع دار الفكر، بيروت.

(٢) تفسير الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ١٠٢/١١، طبعة١٤٠٥هـ، طبع دار الفكر، بيروت.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.

(٤) سورة يونس، الآية:٢٤.

(٥) سورة الرعد، الآية: ٣.

(٦) سورة الحشر، الآية:٢١.

(٧) سورة الأعراف، الآية:١٨٤.

(٨) سورة الروم: ٨.

(٩) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقاق، برقم ٢٩٦٨.

(١٠) قال الإمام السخاوي – رحمه الله –: (وللطبراني في الأوسط، والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر مرفوعًا: (تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في الله)، وأسانيدها ضعيفة لكن اجتماعها يكتسب قوة، والمعنى صحيح. وفي صحيح مسلم – كتاب الإيمان، باب الوسوسة في الإيمان – برقم ١٣٤ – عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: (لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال: هذا خلق الله الخلق، فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئًا فليقل: آمنت بالله). (المقاصد الحسنة، ٢٦١/١)

فمن هذه الآيات والأحاديث ــ التي دعا فيها الإسلام إلى التفكر ــ نصل إلى أن الإسلام: دعا إلى العلم والمعرفة، واكتشاف قوانين التفكير والطبيعة والمجتمع والحياة، وهكذا أعطى الحياة، والحضارة، والمعرفة الإسلامية صفة التجدد والتطور، وهذا سر النمو والفاعلية والبقاء المؤثر في مسيرة البشرية وحياتها، كما إنهّا حصانة من السقوط والتوقف والغياب التاريخي.

وقيل المقصود من الفكر: إجراء عملية عقلية في المعلومات الحاضرة؛ لأجل الوصول إلى المطلوب. والمطلوب هو: العلم بالمجهول الغائب(١).

وقيل: إنّ الفكر هو حركة عقلية، بين المعلوم وبين المجهول، وقيل: إن الفكر حركة عقلية، وقوّة مدركة، يكتشف الإنسان عن طريقها القضايا المجهولة لديه، والتي يبحث عنها ويستهدف تحصيلها، فتنمو معارفه وعلومه وأفكاره في الحياة(٢).

إذن فالفكر هو: استخدام العقل، وتوظيفه للوصول إلى الحقائق، والسلامة والأمان.

المطلب الثاني: التعريف الاصطلاحي للأمن الفكري:

يعود استخدام مصطلح (الأمن) بوجه عام إلى نهاية الحرب العالمية الثانية؛ حيث ظهر تيار من الأدبيات يبحث في كيفية تحقيق الأمن وتلافي الحرب، وكان من نتائجه بروز نظريات الردع والتوازن، ثم أنشئ مجلس الأمن القومي الأمريكي عام ١٩٧٤م، ومنذ ذلك التاريخ انتشر استخدام مفهوم الأمن" بمستوياته المختلفة، طبقًا لطبيعة الظروف المحلية والإقليمية والدولية.

وعلى الرغم من حداثة الدراسات في موضوع الأمن، فإن مفاهيم "الأمن" قد أصبحت محددة وواضحة في فكر وعقل القيادات السياسية والفكرية في الكثير من الدول، وقد برزت كتابات متعددة في هذا المجال، وشاعت مفاهيم بعينها في إطاره، لعل أبرزها "الأمن القومي الأمريكي"، و"الأمن الأوروبي"، و"الأمن الإسرائيلي" و"الأمن القومي السوفييتي" قبل تفككه.

وفي مجال التوصل إلى مفهوم متفق عليه للأمن، فإنه يجدر بنا التعرف على ذلك المدلول في إطار المدارس الفكرية المعاصرة.

فالأمن من وجهة نظر دائرة المعارف البريطانية يعني حماية الأمة من خطر القهر على يد قوة أجنبية.

أما عن مصطلح الأمن الفكري، فإنه يعد مصطلحًا حديثا في الأوساط الفكرية والثقافية، وقد قام بتعريفه عدد من الباحثين المحدثين، ومن أبرز هذه التعريفات ما يأتي(١):

(١) نقلاً عن موقع: بلاغ مطبوعات كتاب الفكر: matboat/com.balagh.www.

(٢) نقلاً عن المصدر السابق.

- الأمن الفكري: هو أن يعيش الناس في بلدانهم وأوطانهم وبين مجتمعاتهم آمنين مطمئنين على مكونات أصالتهم وثقافتهم النوعية ومنظومتهم الفكرية.
- أن يعيش المسلمون في بلادهم آمنين على مكونات أصالتهم وثقافتهم النوعية ومنظومتهم الفكرية المنبثقة من الكتاب والسنّة.
- إنه سلامة فكر الإنسان وعقله وفهمه من الانحراف والخروج عن الوسطية والاعتدال، في فهمه للأمور الدينية والسياسية، وتصوره للكون؛ بما يؤول به إلى الغلو والتنطع، أو إلى الإلحاد والعلمنة الشاملة.
- الاطمئنان إلى سلامة الفكر من الانحراف الذي يشكل تهديدًا للأمن الوطني، أو أحد مقوماته الفكرية، والعقدية، والثقافية، والأخلاقية، والأمنية.

والأمنَ الفكريّ في الإسلام: إحساس المجتمع بأن أفكاره وأخلاقه؛ التي يعتمد عليها في تنظيم علاقاته، ليست مهددة من طرف خارجي، أو فكر وافد؛ سواء بسياسات مفروضة، أو أفكار منظمة بغزو فكري.

كما عرفه البعض بأنه: البعد عن جميع الأخطار والمصادر والأساليب؛ التي من الممكن أن تهز الثوابت العقدية، أو المنظومات الأخلاقية، أو القناعات الفكرية لدى المجتمع المسلم(٢).

المطلب الثالث: تطور مفهوم الأمن الفكري ونشأته

تواجه قيم المجتمعات والدول اليوم ضغوطًا وأخطارًا فكرية متنوعة، تهدد استقلالها وتطلعاتها في سياق المجتمع الدولي، وهذه التحديات فرضت تغييرًا وتحولًا على مفهوم الأمن ذاته، الذي يُعدّ ركيزة أساسية في العلاقات الدولية.

ولقد أسهمت الأزمات الدولية المستمرة، ونقص التعاون العالمي، وغياب القواعد والأسس الواضحة للنظام الدولي الجديد، إضافة إلى قصور المؤسسات الدولية عن فرض القانون وإدارة النزاعات؛ أسهم ذلك كله في دفع الدول والمجتمعات نحو تعزيز سلطتها الداخلية على الأمن، هذا الوضع حتّم على المؤسسات المحلية تحمل مسؤولية الحفاظ على الأمن والنظام داخل أقاليمها، مع احتكار وسائل مواجهة العنف.

---

(١) الأمن الفكري: عبد الرحمن السديس. ضمن كتاب الأمن الفكري، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض ،ط١، ٢٠٠٥ م. والأمن الفكري في مواجهة المؤثرات الفكرية. حيدر عبد الرحمن ، ط١، ٢٠٠٢ م. والأمن الفكري(ماهيته وضوابطه) د.عبد الرحمن اللويحق. ضمن كتاب الأمن الفكري، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض ،ط١، ٢٠٠٥ م.

(٢) كتاب مجلة البحوث الإسلامية، مجموعة من المؤلفين، ص ٨٣.

والحديث عن بداية ونشأة مفهوم الأمن الفكري، ومن ثم تطوره، يتطلب البحث عن بداية الانحراف الفكري في تاريخ البشرية وتطوره، وتسلسله التاريخي، وبداية التركيز على الأمن الفكري بعد جملة من التطورات والأحداث التي بينت أهمية العناية به[١].

فأول انحراف فكري ظهر في الكون هو انحراف إبليس؛ حين رفض طاعة أمر الله له بالسجود لآدم، ففي الوقت الذي سجد فيه الملائكة كلهم، كان إبليس من الرافضين، حتى إن انحرافه أثر على آدم وزوجه ــ عليهما السلام ــ بما جعلهما يسمعان وسوسته ويقعان في الأكل من الشجرة، حيث كان عندها الخروج من الجنة، على أن رحمة الله نالت بعد ذلك آدم وزوجه بعد أن تابا، وتوالت مظاهر الانحراف الفكري عند أبناء آدم، وسوف تستمر إلى يوم القيامة وفق مستويات ودرجات متفاوتة[٢].

وقد تعرضت الأمة الإسلامية إلى محاولات من قبل أعدائها من اليهود والنصارى، كان هدفها القضاء على الإسلام باعتباره شريعة ونظام حكم وحياة، وتفتيت الوحدة بين أبناء الأمة الواحدة، وإثارة الفتن بين المسلمين، وإضعاف دولهم؛ فبدأت بالحملات الصليبية العسكرية التي امتدت ردحاً من الزمن، ثم أخذ الغزو منحى آخر؛ وهو التركيز على الغزو الفكري، والدافع إلى استخدام الغزو الفكري هو الحصيلة المرة التي خرج بها الصليبيون من حروبهم الصليبية الأولى مع المسلمين في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، والتي انتهت بالهزيمة الساحقة وعدم تحقيق شيء مما خرج الصليبيون من بلادهم لتحقيقه[٣].

ومما يسبق يتضح أن: التطرف الفكري هو الشرارة الأولى للأعمال العنيفة والتخريبية المنظمة ضد المجتمع ومؤسساته وأفراده المسالمين، فالعنف المنظم، سواء كان دينيًا أو فلسفيًا، يحتاج دومًا إلى فكر يبرره، ويضفي عليه الشرعية، هذا الفكر قد يستمد تبريره من تفسيرات دينية خاطئة، أو من نظريات فلسفية تؤمن بالعنف الثوري.

وتُظهر التجارب التاريخية أن كل الأعمال المتطرفة التي عانى منها المجتمع، سواء كانت فردية أو دولية، تستند إلى آراء فكرية ذات طبيعة دينية أو فلسفية، وهذه الأيديولوجيات تدفع معتنقيها لتحمل المشاق واستساغة العنف، بل وتجد فيه متعة خاصة، مهما بدا مستهجناً للآخرين، على غرار ذلك، تبرر الدول مرتكبة الجرائم ـــ كالقتل والتشريد وهتك الأعراض دون تمييز بين الضحايا ـــ أفعالها بصياغات فكرية محكمة، وهذا التبرير يهدف

(١) ظهور ونشأة الأمن الفكري: الزهراني عبد الله، ص٦١.

(٢) مفهوم الأمن الفكري (دراسة تأصيلية في ضوء الإسلام): ماجد محمد الهذيلي رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية،١٤٣٣هـ، ص٧٠.

(٣) المرجع السابق، ص٧١

إلى إزالة أي شعور بتأنيب الضمير لدى المنفذين، كما شهدنا في الفلسفات النازية والماركسية، وكما هو الحال مع الصهيونية في تعبئة أفرادها حاليًا.

يتبين مما سبق: أن الأمن الفكري يتعلق بحماية سلامة عقل الإنسان وتفكيره، ويُعرّف هذا المفهوم بأنه سلامة معتقدات الفرد من أي انحراف في فهمه للقضايا الدينية والسياسية، وأن الأمن الفكري يساهم في تحقيق رجاحة الفكر، التي تنعكس إيجابًا على الفرد ومجتمعه، محققةً الأمن، والطمأنينة، والاستقرار في كافة جوانب الحياة.

والأمن الفكري هو حجر الزاوية لأمن أي مجتمع، فهو يصوغ العقول والثقافات ويحميها من الأفكار الهدامة، محققًا بذلك التماسك والوحدة في الفكر والغاية.

ويُعد الأمن الفكري مفهومًا معقدًا ومتفردًا، إذ يتطلب بصيرة نافذة لتمييز الحكمة من الانحراف، وهو يحمي أثمن ما تملكه الأمة؛ دينها وعقيدتها، التي تميزها وتُحدد وجودها.

وتتعدد مظاهر اختلال الأمن الفكري، مما يستدعي تكاتف جهود المجتمع بأسره للحفاظ على سلامته، فالخطر لا يأتي من الجريمة التقليدية فحسب، بل غالبًا ما ينبع من أصحاب مذاهب وحضارات يسعون للسيطرة عبر ما يُعرف بالغزو الفكري، وهذا الغزو يستهدف الأفكار والسلوكيات، ويهدد بشكل مباشر استقرار الشعوب.

المبحث الثاني: أهمية الأمن الفكري في الواقع المعاصر

المطلب الأول: قيمة الأمن وأهميته المحورية في حياة الأفراد والمجتمعات:

الأمن ضد الخوف ونقيضه[١]، وهو الشعور بالسكينة والطمأنينة، والوثوق بالشيء[٢]، قال تعالى : ﴿**هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ**﴾[٣] أي : هل أثق بكم عليه.

وللأمن مفهوم واسع، ومعنى شامل ينتظم عددا من الجوانب، ولا يختص بالجانب الذي قصره كثير من الناس عليه، بل يتجاوزه ليشمل الأمن العقدي، والأمن النفسي، والأمن الفكري، والأمن الاقتصادي، والأمن الاجتماعي، ونحوها مما يعتبر الأمن مطلبا ضروريا فيه[٤].

والحق أن السعادة ليست شيئا آخر سوى الشعور بما يكفي من الأمن ... الأمن في إشباع حاجات الإنسان، المعنوية والمادية، أي الاطمئنان إلى توفير ما يشبع تلك الحاجات[٥]،

(١) لسان العرب ١٤٠/١.

(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية، دار الشروق، القاهرة،١٩٨١م، ص ٨٣.

(٣) سورة يوسف: آية ٦٤.

(٤) خطاب الأمن في الإسلام وثقافة التسامح والوئام: عبد الله الشيخ محفوظ: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ط١٩٩٩،١م،ص٣ .

(٥) مدخل إلى نظرية الأمن والإيمان في سعادة الإنسان وتقدم المجتمعات: عبد الوهاب محمود المصري، تقديم: وهبة الزحيلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٤١٣،١هـ، ص ١٤٤ .

ويقرر النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه : "من أصبح آمناً في سربه، معافىً في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها [١] .

والأمن فريضة دينية، ومطلب إنساني، وظاهرة حضارية تسعى جميع الدول والحكومات جاهدة لنشره بين شعوبها، وتحقيقه في أوطانها، وذلك لأنه ركيزة للانتماء، وطريق للتنمية والرخاء، فهو أكسير الحياة ومادتها، وطريق السعادة وعدتها، ومحور السيادة وثمرتها[٢] .

وبقدر ما تتسع مساحة الشعور بالأمن وتضيق مساحة الشعور بالخوف بقدر ما يتحقق التقدم الحضاري في مجتمع من المجتمعات[٣] .

ومن ذلك تتضح أهمية الأمن بشتى أنواعه في حياة البشر وأن اختلال نوع من أنواعه يؤدي إلى اختلال سير الحياة في المجتمعات[٤] .

والأمن من أهم مطالب الحياة بل لا تتحقق أهم مطالبها إلا بتوفره، حيث يعتبر ضرورة لكل جهد بشري فردي أو جماعي لتحقيق مصالح الأفراد والشعوب.

إن الأمن معنى شامل في حياة الإنسان ولا يتوفر الأمن للإنسان بمجرد ضمان أمنه على حياته فحسب، فهو كذلك يحتاج إلى الأمن على عقيدته التي يؤمن بها، وعلى هويته الفكرية والثقافية، وعلى موارد حياته المادية[٥] .

ولقد وردت كلمة الأمن وما يشتق منها في القرآن الكريم في ثمان وأربعين موضعا من كتاب الله تعالى، وذلك في أربع وعشرين سورة؛ سبع منها مدنية، وسبع عشرة سورة مكية؛ مما يؤكد حاجة العهد المكي إلى مزيد من الأمن المفقود يومئذ للمؤمنين، ولما هاجر المسلمون إلى المدينة المنورة وقامت لهم دولة، أصبح الحديث عن الأمن حسب الحاجة والضرورة[٦].

كما دعا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى كل عمل يبعث الأمن والاطمئنان في نفوس المسلمين، ونهى عن كل فعل يبث الخوف والرعب في جماعة المسلمين، حتى ولو كان

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه والبخاري في الأدب المفرد.

(٢) تنمية الأمن الاجتماعي من منظور تربوي إسلامي: مشعل بن سيف الجعيد، (بحث مكمل لنيل درجة الدكتوراه في الأصول الإسلامية للتربية)،قسم التربية الإسلامية المقارنة كلية التربية جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية،١٤٢٨هـ،ص٢

(٣) مدخل إلى نظرية الأمن والإيمان في سعادة الإنسان وتقدم المجتمعات : عبد الوهاب محمود المصري تقديم: وهبة الزحيلي، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط١٤١٣،١هـ، ص ١٤٦ .

(٤) مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية : أمل محمد أحمد عبد الله،(بحث مكمل لدرجة الماجستير في الأصول الإسلامية للتربية)،قسم التربية الإسلامية المقارنة كلية التربية، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية،١٤٢٨هـ،ص١٢ .

(٥) الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام : ص ٢.

(٦) التربية الأمنية في القرآن الكريم : عبد السلام حمدان اللوح محمود هاشم عنبر مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية)،المجلد الرابع عشر العدد الأول يناير ٢٠٠٦م،ص ٢٢٩ -٢٣٠ .

أقل الخوف وأهونه، باعتبار الأمن نعمة من أجلِّ النعم على الإنسان، كما أن الخوف والروع نقيض الأمن الذي يطلبه المسلم في دنياه وآخرته[١]

وخلاصة ما سبق: أن مفهوم الأمن قد خضع لمراجعات كثيرة وفقا للواقع المتغير لمنظومة الاجتماع البشري، لكنه منذ خُلق الإنسان كان أحد أركان هذه المنظومة باعتباره الحاجة الثانية للإنسان، وفقا للمنطق الحتمي للتفكير الاجتماعي، وهو يأتي بعد الحاجات البيولوجية، ويتضمن سلسلة متصاعدة تبدأ من أسفل أمن الفرد، إلى أمن العالم، ويستند إلى مرتكزين أساسيين هما[٢]:

- التحرر من الحاجة إلى تحقيق الرضا بإشباع الحاجات الأساسية للفرد.
- التحرر من الخوف والتهديد، وتلبية الحاجة إلى الاستقرار الاجتماعي والنفسي للفرد في بيئة صديقة خالية من الخطر، وما يهدد استمرار الحياة، أو وصول الفرد إلى حاجاته.

ويأخذ تعريف الأمن وفقا لهذا المنهج التعبير الأبلغ للتعريف القرآني للأمن في الآية الكريمة من سورة قريش (الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف).

وقد تطور مفهوم الأمن وفقا لتطور منظومة الاجتماع الإنساني، بدءا من سعي الفرد إلى تأمين مسكنه، ووسائل بلوغه إلى حاجاته من تهديد الكائنات الأخرى والأفراد الآخرين، إلى الظهور المبكر لحاجة الفرد للجماعة، وتطور احتياجاته بما فيها حاجة الانتماء إلى جماعة إنسانية، وصولا إلى متطلبات الدفاع عن الجماعة وحمايتها، وبلغ هذا التطور مداه، مع ظهور الدولة بشكل عام، والدولة الإقليمية بشكل خاص، والتي أنتجت معادلة الأمن الصفرية، في تغاير أهداف الدول وتنافسها على المصالح وفقا لنظرية فائض القوة، وما أدت إليه من الاغتراب، الأمر الذي دفع إلى البحث عن منظومة أكثر اتساعا، أظهرت الحاجة إلى توفير منظومة القانون والعرف الدوليين، وذلك بهدف الموائمة بين مصالح الدول وسبل تأمينها لاحتياجاتها بما لا يُعرض الآخرين للخطر والتهديد، الأمر الذي عزز ضرورة وجود صيغة عالمية للحفاظ على الأمن والسلم الدوليين، بدأت بعصبة الأمم، التي لم تتمكن من تحيد أو تقيد ارتكاز القوى الدولية إلى نظرية فائض القوة، بما أدى إلى انهيار وفشل تجربة عصبة الأمم، والبحث عن صيغة أخرى سعت إلى تنظيم نظرية فائض القوة من خلال التجربة الحالية للأمم المتحدة، والتي سرعان ما ظهرت عوراتها، وعجزها عن تحقيق ما أُنشأت من أجله، عندما

(١) الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام : ص ١٢.

(٢) الانتماء ومفهوم الأمن الفكري: أحمد غنيم، على الرابط التالي (http://www.fatehmofr.ps/).

منحت ــ وفقا لنتائج حربين عالميتين ــ خمسة قوى أفضلية في الحفاظ على مصالحها دون باقي دول العالم، بمنحها حق استخدام الفيتو، الأمر الذي دفع بالضرورة إلى ظهور منظومات إقليمية ومحلية كثيرة، نشأت في محيط عجز الأمم المتحدة على تحمل مسؤوليتها عن حماية الأمن والسلم الدوليين، للدفاع عن مصالح تلك المنظومات، والحفاظ على أمنها، حتى وإن كان ذلك على حساب منظومات أو دول أخرى، الأمر الذي أعاد العالم إلى صيغة المعادلة الصفرية، رغم الوضوح الصارخ في أن أمن وسلم أي دولة بات يعتمد على أمن وسلامة الدول الأخرى، وأن الدولة مهما بلغت من قوة في ظل العولمة، فلن تستطيع حماية أمنها، فامتلاك الاتحاد السوفيتي السلاح النووي لم يمنعه ويحميه من الانهيار، لأن التهديد العسكري ليس الخطر الوحيد الذي بات يهدد الدول، فإهدار حقوق الشعوب وإنكار حقوقها ومصالحها وسلب حريتها دوليا، والحرمان الاقتصادي، وانتقاص المساواة في الحياة، وعدم وجود ضمانات كافية لحقوق الإنسان وحرياته، وحقه في المشاركة، وتحقيق وصون الديمقراطية، وانهيار منظومة العدالة وسيادة القانون على مستوى الدولة الواحدة؛ كلها تؤدي إلى اختلال معادلة الأمن(١).

المطلب الثاني: ضرورة وأهمية الأمن الفكري في الواقع المعاصر

والأمن الفكري من أهم الموضوعات التي تشغل هموم الناس فرادى وجماعات، وتمس حياتهم واستقرارهم مسا جوهريا؛ ذلك لأن الأمن الفكري يعد أهم أنواع الأمن وأخطرها؛ لما له من الصلة المتينة بهوية الأمة، لاسيما أن الأمة الإسلامية أولى من غيرها بحماية فكرها وثقافتها وهويتها من الاضمحلال أمام أخطار الغزو الثقافي، التي تعددت أساليبه، وتنوعت أشكاله، التي تغتال العقائد، وتهدم العقائد والقيم؛ ولذلك فإن الاهتمام بالأمن الفكري هو في حقيقته أمن للعقيدة والخلق، والمبدأ الإسلامي الذي لا غنى عنه، ولا قيمة للحياة بدونه(٢).

وقد عني الإسلام بالأمن الفكري عناية بالغة، وجعله ضرورة من الضرورات لأمن الفرد والأسرة والمجتمع والأمة، بل للإنسانية جمعياً؛ ليعيش الجميع في أمن واستقرار وطمأنينة.

---

(١) الانتماء ومفهوم الأمن الفكري: أحمد غنيم، على الرابط التالي (http://www.fatehmofr.ps/).

(٢) مفهوم الأمن الفكري(دراسة تأصيلية في ضوء الإسلام):ماجد بن محمد بن علي الهزيلي، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في الثقافة الإسلامية، المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود، كلية الشريعة، قسم الثقافة الإسلامية،١٤٣٣هـ،ص٩.

ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: {**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى**}(١)،وقوله تعالى: {**وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ**}(٢). أي: الأمن، يعني مكة، وهو من الأمن. وقوله تعالى: {**الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ**}(٣) .

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الأمن أعظم مطلب للمسلم في هذه الحياة، وأنه بحصوله كأن المسلم ظفر بما في الدنيا من ملذات ومشتهيات، وكل ما يريده في دائرة الحلال؛ فعن سلمة بن عبدالله بن مِحْصن الخَطْمي، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا) (٤).

ويُساهم الأمن الفكري في تحقيق عدة أهداف حيوية للمجتمعات، تشمل:

- **تعزيز الوحدة والتلاحم:** يضمن الأمن الفكري تماسك الأمة ووحدتها في الفكر، والمنهج، والغاية.
- **صون الطفولة:** يوفر حماية للأطفال من الآثار السلبية للتغيرات المتسارعة، مثل نقص الرعاية الأسرية نتيجة عمل الوالدين، أو اغترابهما، أو انفصالهما.
- **مكافحة الجريمة والتطرف:** يقي المجتمع من ارتفاع معدلات الجريمة، والعنف، والتطرف، والإرهاب، التي هي نتاجٌ مباشر للفكر المنحرف.
- **درء الغزو الفكري:** يحمي الفكر من محاولات الغزو الفكري أو الاستعمار الثقافي الذي يستهدف تشويه العقائد والمبادئ.
- **دعم التنمية الاقتصادية:** يُسهم في تنمية الاقتصاد، والحفاظ على ثروات المجتمع وخيراته، واستثمارها بفاعلية، مما يعزز الأمن والاستقرار للمواطنين.

من أجل ذلك أمر الإسلام بالبعد عن العنف والعدوان.

والعنف: هو عدم الرفق وفقدان التلطف، وهو التهديد باستخدام ــ أو الاستخدام الفعلي ــ للقوة ضد شخص أو مجموعة أشخاص أو مجتمع مما يؤدي إلى إصابة الآخرين.

أما **العدوان:** فهو تجاوز حدود الشرع في المعامل، والخروج عن العدل فيها.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٥،

(٢) سورة التين: من الآية ٣

(٣) سورة قريش: الآية ٤

(٤) رواه الترمذي وابن ماجه والبخاري في الأدب المفرد.

والعدوان قد يكون بالقول كما يكون بالفعل، والعنف صورة من صور العدوان، والعدوان أسوأ الاعتداء في قول أو فعل أو حالٍ . والعنف والعدوان يبدآن بالغضب والانفعال الداخلي، ثم التنفيس بفاحش القول، ثم استخدام اللسان واليد[١] .

وخلاصة القول: فإنه لا يخفي ما تعانيه كثير من الدول من ظواهر الانحراف والغزو الفكري والأخلاقي التي هي إفرازات لاتجاهات فكرية معادية، تحاول الوصول إلى أهداف استراتيجية بقصد السيطرة على توجهات تلك الدول من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وتتفاوت الدول في مدى تأثرها بهذه الأفكار والاتجاهات، فمن الدول ما يؤهلها رصيدها الثقافي والحضاري والديني على مجابهة هذه الأفكار والمعتقدات، ومنها ما يسهل التأثير عليه تحت ضغط الظروف الاقتصادية والاجتماعية، ولا سبيل لمواجهة تلك التحديات إلا عن طريق تفعيل المؤسسات التوعوية في المجتمع للتصدي لهذه التيارات، التي تهدف إلى استعمار فكر الأمة، والسيطرة على عقول أبنائها بوسائل مختلفة، منها: زعزعة المفاهيم الإيمانية والعقائدية، وبث الأفكار الهدامة في عقول الشباب، وتشويه صورة الإسلام[٢].

المبحث الثالث: الطاهر بن عاشور وفكره

المطلب الأول: ترجمة الإمام الطاهر بن عاشور:

اسمه ونسبه ومولده:

هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، المشهور بالطاهر بن عاشور، الإمام الضليع في العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والتاريخية[٣].

وينتمي ابن عاشور إلى نسب عريق؛ حيث أن جده للأب[٤] من أعلام علماء تونس، وجده للأم هو الوزير الأكبر الشيخ محمد العزيز بوعتور[٥] (١٢٤٠ هـ-١٣٢٥هـ)، الذي تولَّى الوزارة الكبرى بتونس، وتحقَّقت على يديه إصلاحات نالت إعجابَ الوزراء وتقدير الأمراء.

---

(١) احذر العنف والعدوان: شعبان قزامل، منبر التوحيد والجهاد، بدون بيانات،ص٣.

(٢) تحديات الأمن الفكري في ضوء المفاهيم الإسلامية: حسن السيد حامد خطاب ،ضمن سلسلة (من قضايا الفكر المعاصر)، (بون ناشر)، ٢٠٠٩ م، ص٢.

(٣) من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، د بلقاسم الغالي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، صـ ٣٥.

(٤) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور الشريف، (١٢٣٥ - ١٢٨٤ هـ( )١٨١٥ - ١٨٦٨ م) أصل سلفه من الأندلس، ثم هاجروا إلى سلا بالمغرب الأقصى ثم انتقلوا إلى تونس، قرأ بجامع الزيتونة فأخذ عن أعلامه المشاهير، وأقبل بجد على طلب العلم، وبعد تخرجه تصدر للتدريس بجامع الزيتونة، وفي سنة ١٢٦٢هـ/ ١٨٤٦م، سمي مدرسا من الطبقة الأولى بجامع الزيتونة، وأقرأ النحو، والبلاغة والأصول، والأدب ولما ذاع صيته بعد زمن قليل رام المشير الأول أحمد باشا باي تقديمه لخطة القضاء، ينظر تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ (المتوفى: ١٤٠٨ هـ)،دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط ٢، ١٩٩٤ م، ج ٣، ص ٣٠٠.

(٥) محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب ابن الوزير محمد بن محمد بو عتور الصفاقسي التونسي، (١٢٤٠ - ١٣٢٥ هـ = ١٨٢٥ - ١٩٠٧ م) وزير، من العلماء الكتاب. أصله من صفاقس، من بني الشيخ عبد الكافي العثماني (نسبة إلى عثمان بن عفان) ومولده ووفاته بتونس. ولي الكتابة في حكومتها سنة ١٢٦٢ هـ وتقدم، فكان كاتبا خاصا لأسرار الملك، وأحد أعضاء مجلس الشورى الخاص. وكانت الخطب الملكية والرسائل الهامة والمنشورات كلها من إنشائه. وكان من العاملين في تأسيس المدرسة الصادقية وجمعية الأوقاف، وفي تنظيم المحاكم الشرعية وسن قانون العدول. ثم تقلد منصب الوزارة الكبرى سنة ١٣٠٠ فقام بالأعباء قياما حسنا. ولما توفي أمر المولى (محمد الناصر باي) بدفنه في مقبرة الأسرة المالكة الأعلام للزركلي، ٦/٢٦٨.

ولد العلامة ابن عاشور في ضاحية المَرْسى ، قرب العاصمة التونسيَّة، في شهر جمادى الأولى سنة ١٢٩٦هـ ، الموافق سبتمبر ١٨٧٩م، في قصر جده للأم الوزير الأكبر الشيخ محمد العزيز بوعتور، فِي أسرة علمية عريقة تمتد أُصُولهَا إِلَى بِلَاد الأندلس، وَقد استَقَرَّتْ هَذِه الأسرة فِي تونس بعد حملات التنصير ومحاكم التفتيش، الَّتِي تعرض لَهَا المسلمون ببلاد الأندلس.

وولد الإمام الطاهر بن عاشور في فترة تاريخية حافلة، تموج بدعوات إصلاحية وتجديدية، كان الهدف من هذه الدعوات: إخراج الدين وعلومه من جمود التقليد إلى رحابة التجديد والإصلاح، وكذلك قيادة الأوطان من مستنقع التخلف والاستعمار، نحو التقدم والحرية والاستقلال.

وفاته:

تُوفِّي الشيخ العلامة محمد الطَّاهر بن عاشور عن أربع وتسعين سنة، في ضاحية المَرْسَى قرب تونُس العاصمة، يوم الأحد ١٣ من رجب سنة ١٣٩٤هـ، الموافق ١٢ من أغسطس ١٩٧٣م.

مناصب الإمام الطاهر بن عاشور:

في سنة ١٣٢١هـ– ١٩٠٠م أضيف إليه التدريس بالمدرسة الصادقية، وَكَانَ لهَذِه التجربة المبكرة فِي التدريس بَين الزيتونة – ذَات الْمنْهَج التقليدي – والصادقية – ذَات التَّعْلِيم العصري المتطور– أَثَرهَا فِي حَيَاته، إِذْ فتحت وعيه على ضَرُورَة ردم الهوة بَين تيارين فكريين مَا زَالا فِي طور التكوين، ويقبلان أَن يَكُونَا خطوط انقسام ثقافي وفكري فِي الْمُجْتَمع التّونسِيّ، وهما: تيار الْأَصَالَة الممثل فِي الزيتونة، وتيار المعاصرة الممثل في الصادقية، وَدوَّن آراءه هَذِه فِي كِتَابه النفيس «أَلَيْسَ الصُّبْح بقريب؟» من خلال الرُّؤْيَة الحضارية التاريخية الشاملة الَّتِي تدْرك التحولات العميقة الَّتِي يمر بهَا الْمُجْتَمع الإسلامي والعالمي[1].

وفي سنة ١٣٢٥هـ– ١٩٠٤م، سُمي نائبًا عن الدولة لدى نظارة [2] جامع الزيتونة فابتدأ أعماله بإدخال نظم مهمة على التعليم بحسب ما سمح به الحال.

وفي سنة ١٣٣١هـ– ١٩١٣م سُمي قاضيًا مالكيًا للجماعة، وبموجب ذلك دخل في هيئة النظارة العلمية المديرة لشئون جامع الزيتونة.

(١) محمد الطَّاهر ابن عاشُور، علَّامة الفقه وأُصوله والتَّفسير وعُلومه، إياد خالد الطَّبَّاع، وهو الكتاب رقم (٢٦) في سلسلة: (علماء ومفكرون معاصرون، لمحات من حياتهم وتعريف بمؤلفاتهم) التي تصدرها دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.صـ٢١، ومابعدها بتصرف.

(٢) الهيئة المشرفة على التعليم.

وفي سنة ١٣٤١هـ- ١٩٢٣م عاد إلى التدريس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية.

وفي جمادى الأولى سنة ١٣٥١هـ- ١٩٣٢م سُمي شيخ الإسلام المالكي؛ وهو أول من تولى هذا المنصب، وشيخاً لجامع الزيتونة وفروعه، ثم اقتصر على وظيفة شيخ الإسلام.

وفي ربيع الأول ١٣٦٤ هـ- نوفمبر ١٩٤٤م سُمي شيخاً لجامع الزيتونة وفروعه، واعتزل هذا المنصب خلال سنة ١٩٥١م، ولما جاء الاستقلال سمي عميدًا للجامعة الزيتونة في أبريل ١٩٥٦م.

وفي المرتين اللتين تولى فيهما مشيخة جامع الزيتونة أدخل إصلاحات مهمة على نظام التعليم، وفي المرة الثانية أدخل في الدراسة مواد جديدة كالفيزياء والكيمياء والجبر، وانتدب لتدريسها أساتذة مختصين[١]، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة[٢].

وللشيخ محمد الطاهر ابن عاشور أوّليات تستحقّ الوقوف عندها[٣]، والإشارة إليها، وهي مظهر من مظاهر تميّزه، وفيما يلي شيء من ذلك:

- أوّل مَنْ جمع بين منصب شيخ الإسلام المالكي، وشيخ الجامع الأعظم (الزيتونة).
- وأوَّل مَنْ سُمِّي شيخاً للجامع الأعظم سنة (١٣٥١هـ _ ١٩٣٢م) ليتولَّى الإصلاحات العلمية والتعليمية، فكان أوّل شيخ لإدارة التعليم بجامع الزيتونة عوضاً عن النظارة التي كانت هي المسيّرة للتعليم به.
- وأوَّل مَنْ لُقِّبَ بشيخ الإسلام، وهو لقب تفخيمي تداولته الرئاسة الشرعية الحنفية بتونس منذ القرن العاشر الهجري، ولم يكن لدى المالكية بتونس هذا اللقب، وقد أُطلق على رئيس المجلس الشرعي الأعلى للمالكية بصفة رسمية عليه.
- هو أوَّل مَنَ تقلَّد جائزة الدولة التقديرية للدولة التونسية ونال وسام الاستحقاق الثقافي سنة (١٩٦٨م) وهو أعلى وسام ثقافي قررت الدولة التونسية إسناده إلى كلّ مفكر امتاز بإنتاجه الوافر ومؤلفاته العميقة الأبحاث، ودعوته الإصلاحية ذات الأثر البعيد المدى في مختلف الأوساط الفكرية، وحصل على جائزة رئيس الجمهورية في الإسلاميات عامي ١٩٧٢م-١٩٧٣م.

(١) شيخ الجامع الأعظم، صـ ٥٦-٦٢.

(٢) الأعلام للزركلي، مرجع سابق، جـ ٦، صـ ١٧٤.

(٣) محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله، والتفسير وعلومه للأستاذ خالد الطباع ص٧٨_٨٠.

- وهو أوَّل مَنْ أحيا التصنيف في مقاصد الشريعة في عصرنا الحالي بعد العزّ ابن عبدالسلام (ت ٦٦٠هـ) والشاطبي (٧٩٠هـ).
- وهو أوَّلُ مَن أدخل إصلاحاتٍ تعليميّةً وتنظيميّة في الجامع الزيتوني في إطار منظومة تربوية فكرية، صاغها في كتابه: (أليس الصبح بقريب) الذي ألفه في بواكير حياته، والذي دل على عقلية تربوية فذة، وكان شاهداً على الإصلاح التربوي والتعليمي الشرعي المنشود.

فأضاف إلى الدراسة موادَّ جديدةً كالكيمياء والفيزياء والجبر وغيرها، وأكثر من دروس الصرف، ومن دروس أدب اللغة، وشَرَع بنفسه في تدريس ديوان الحماسة، ولعلّه أول من درّس ذلك في الزيتونة.

مؤلفاته:

تنوعت مؤلفات الإمام ابن عاشور لتشمل فنوناً عديدة كالتفسير، والحديث، والأصول، والأدب، واللغة، والتاريخ والتراجم، وتميزت كتاباته بنظرة عقلية فلسفية، وأسلوب أدبي رصين، يصحبهما روح المصلح، وعقلية الرجل المعاصر، ومن أبرز هذه المؤلفات:

أ. في العلوم الإسلامية:

- تفسير التحرير والتنوير (٣٠ مجلدًا)، تحرير المعنى وتنوير العقل.
- مقاصد الشريعة الإسلامية.
- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام.
- أليس الصبح بقريب.
- الوقف وآثاره في الإسلام.
- كشف المغطّى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ.
- النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح.
- قصة المولد.
- تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة.
- التوضيح والتصحيح (أصول الفقه)
- حاشية التوضيح والتصحيح لمشكلات كتاب التنقيح – شرح على كتاب "تنقيح الفصول في الأصول" للقرافي.

ب. في اللغة العربية وآدابها:

- أصول الإنشاء والخطابة.
- موجز البلاغة.
- نقد لكتاب الإسلام وأصول الحكم (لعلي عبد الرازق)
- شرح مقدمة المرزوقي لشرح ديوان الحماسة.
- شرح قصيدة الأعشى.
- ديوان النابغة الذبياني – مقدمة وتحقيق.
- شرح معلقة امرئ القيس.
- ديوان بشار – مقدمة وتحقيق.
- الواضح في مشكلات شعر المتنبي لأبي القاسم الأصفهاني (تحقيق)
- قلائد العقيان في محاسن الأعيان (للّفتح بن خاقان القيسي – تحقيق)
- سرقات المتنبي ومشكل معانيه (لإبن بسام النحوي – تحقيق)
- تحقيق شرح القرشي على ديوان المتنبي.
- غرائب الاستعمال.

ج. مؤلفات أخري:

- تعريفات العلوم.
- النوازل الشرعية (قضايا معاصرة في الفقه)
- آراء اجتهادية.
- أصول التقدم في الإسلام.
- الفتاوى (جمع فتاوى ابن عاشور)

المطلب الثاني: فكر الإمام الطاهر بن عاشور

يُعَدُّ الإمام محمد الطاهر بن عاشور واحدًا من أبرز أعلام التجديد والإصلاح الفكري في العالم الإسلامي الحديث، حيث جمع بين الأصالة العلمية والوعي الحضاري، وأسهم في بعث الفكر الإسلامي على أسس منهجية تجمع بين التراث الراسخ والتجديد المنضبط.

وقد تميز فكره بالتركيز على المقاصد الشرعية، التي جعل منها محورًا لفهم الشريعة واستنباط أحكامها، ساعيًا إلى تأسيس فقه يتفاعل مع واقع الناس، ويُراعي تطور الزمان والمكان دون إخلال بثوابت الدين.

ومن خلال تفسيره الموسوعي "التحرير والتنوير"، أرسى ابن عاشور أسسًا لتفسير عقلاني مقاصدي، يُعلي من قيمة التحليل اللغوي، ويُبرز الترابط البلاغي والسياقي بين الآيات، في انسجام مع روح الشريعة ومقاصدها.

كما ظهرت رؤيته الإصلاحية واضحة في كتابه "مقاصد الشريعة الإسلامية"، حيث دعا إلى إحياء علم المقاصد، وتفعيله في الاجتهاد المعاصر، معتبرًا أن تعطيله سبب في جمود الفكر الفقهي، وانفصاله عن الواقع.

ولقد سعى الطاهر بن عاشور إلى بناء منهج علمي رصين، يقوم على التحرر من الجمود، دون الانفصال عن الأصول، واضعًا بذلك أساسًا فكريًا متوازنًا، يُعدّ من أبرز الإسهامات الفكرية في العصر الحديث.

وتُعد عقيدة الإمام محمد الطاهر بن عاشور متأثرة بشكل كبير بالمنهج الأشعري، وهو المذهب العقدي السائد في تونس وفي الأزهر الشريف الذي درس فيه، فهو يعترف بذلك وينتصر لفكره العقدي؛ والشاهد علي ذلك في تفسيره الآية الثامنة والثلاثين من سورة البقرة: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ " والإتيان في قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم ﴾ بحرف الشرط الدال على عدم الجزم بوقوع الشرط إيذان ببقية من عتاب على عدم امتثال الهدى الأول وتعريض بأن محاولة هديكم في المستقبل لا جدوى لها، كما يقول السيد لعبده إذا لم يعمل بما أوصاه به، فغضب عليه ثم اعتذر له فرضي عنه: إن أوصيتك يوما آخر بشيء فلا تعد لمثل فعلتك، يعرض له بأن تعلق الغرض بوصيته في المستقبل أمر مشكوك فيه، إذ لعله قليل الجدوى، وهذا وجه بليغ فات صاحب «الكشاف» حجبه عنه توجيه تكلفه لإرغام الآية على أن تكون دليلا لقول المعتزلة بعدم وجوب بعثة الرسل، للاستغناء عنها بهدى العقل في الإيمان بالله، مع كون هدى الله تعالى الناس واجبا عندهم، وذلك التكلف كثير في «كتابه» وهو لا يليق برسوخ قدمه في العلم، فكان تقريره هذا كالاعتذار عن القول بعدم وجوب بعثة الرسل على أن الهدى لا يختص بالإيمان الذي يغني فيه العقل عن الرسالة عندهم، بل معظمه هدى التكاليف وكثير منها لا قبل للعقل بإدراكه، وهو على أصولهم أيضا واجب على الله إبلاغه للناس، فيبقى الإشكال على الإتيان بحرف الشك هنا بحاله، فلذلك كانت الآية أسعد بمذهبنا أيها الأشاعرة من عدم وجوب

الهدى كله على الله تعالى، لو شئنا أن نستدل بها على ذلك كما فعل البيضاوي، ولكنا لا نراها واردة لأجله"[١].

والحق في ذلك واضح ولا يحتاج لتكلف؛ وهو أن الله تعالى تفضل على البشر جميعًا بالهداية العامة رحمة منه، وذلك بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾ [٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ [٣]، فهذه هي الهداية العامة والتي يُطلق عليها هداية الدلالة والإرشاد التي بعث الله بها ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ [٤]، وهي غير هداية التوفيق التي هي تحقق استجابة العبد لهداية الإرشاد علمًا وعملًا، وهي ليست لكل الناس وهي المذكورة في قول الله تعالى: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [٥]، وهذا هو الحق الذي عليه أهل السنة.

ولا يفوتنا أن الطاهر قد خالفهم في مواضع من كتابه في مسائل متفرقة، كعالم غير متقيد بمذهب عند جلاء الحق في عينيه، مثل إثباته صفة النفس لله تعالى بقوله: "اختلف في جواز إطلاق النفس على الله، وإضافتها إلى الله؛ فقيل: يجوز، لقوله تعالى حكاية عن كلام عيسى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [٦] ولقوله في الحديث القدسي: «وإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي»(٧) وقيل: لا يجوز إلا للمشاكلة، كما في الآية والحديث القدسي، والظاهر الجواز"[٨].

ومع ذلك، لم يكن ابن عاشور مجرد مقلد، بل كان له نظرة اجتهادية وتجديدية في التعامل مع القضايا العقدية، مع التزامه بالأسس الراسخة لأهل السنة والجماعة.

ويمكن تلخيص ملامح فكر الطاهر بن عاشور فيما يلي:

- **الجمع بين الأصالة والتجديد:** يدعو إلى التمسك بالثوابت الإسلامية مع الانفتاح على آليات التجديد المعاصرة.

(١) التحرير والتنوير جـ ١، صـ ٤٤٣.
(٢) سورة الليل: ١٢.
(٣) سورة فصلت: جزء من الآية ١٧.
(٤) سورة النساء: ١٦٥.
(٥) سورة المائدة: ١٦.
(٦) سورة المائدة: جزء من الآية رقم ١١٦.
(٧) متفق عليه.
(٨) التحرير والتنوير جـ ١، صـ ٥٦٠.

– **إحياء علم المقاصد:** يعدّ من أبرز من أعاد بناء علم مقاصد الشريعة تنظيرًا وتفصيلًا، وجعله أساسًا لفهم النصوص وتطوير الأحكام.

– **العقلانية المنضبطة:** يستخدم العقل في فهم الشريعة وتحليل النصوص، دون أن يتجاوز حدود النصوص القطعية.

– **التفسير البياني المقاصدي:** ركّز في تفسيره (التحرير والتنوير) على المعاني اللغوية والسياقية والبلاغية، مقرونًا باستحضار المقاصد العامة للشريعة.

– **إصلاح التعليم الديني:** دعا إلى تطوير المناهج التقليدية في الزيتونة وغيرها، بإدخال العلوم العقلية والاجتماعية.

– **الانفتاح على الفكر الإنساني:** دعا إلى الاستفادة من التجارب الإنسانية النافعة، مع الاحتفاظ بالهوية الإسلامية.

– **مقاومة الغلو والتطرف:** وقف في وجه التيارات المتشددة أو المنغلقة التي تحجر على الاجتهاد أو ترفض العقل.

المبحث الرابع: الأمن الفكري عند الطاهر بن عاشور وأثره على الواقع المعاصر

المطلب الأول: حفظ العقيدة وعلاقته بالأمن الفكري عند الطاهر بن عاشور:

يُعدّ الربط بين المقاصد القرآنية والأمن الفكري من أبرز ملامح فكر الإمام محمد الطاهر بن عاشور، وخاصة في تفسيره الرائد "التحرير والتنوير" وكتابه "مقاصد الشريعة الإسلامية".

يرى ابن عاشور أن القرآن الكريم ليس مجرد نصوص تُتلى، بل هو كتاب هداية يحمل في طياته مقاصد عظيمة تهدف إلى صلاح الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة، هذه المقاصد هي الأساس الذي يُبنى عليه الأمن الفكري.

ويقول بن عاشور: "الإيمان يزيد الفطنة؛ لأن أصول اعتقاده مبنية على نبذ كل ما من شأنه تضليل الرأي وطمس البصيرة"(١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (٢)

يظهر في تفسير ابن عاشور لهذه الآية منطقه في دحض تعدد الآلهة، وأثره على الأمن الفكري، فيقول: ولو تعددت الآلهة، لوجب أن يمتلك كل منها إرادة وقدرة مطلقتين، لكن هذا التعدد سيؤدي حتمًا إلى اختلاف في متعلقات الإرادات والقدر، إذ لو تساوت إراداتهم لكان

(١) التحرير والتنوير ١/٢٧٥.

(٢) سورة الأنبياء: آية رقم ٢٢.

التعدد بلا فائدة، وإن حدث كائن بإرادة آلهة متعددة، لكان ذلك اجتماعًا لمؤثرين تامين على معلول واحد، وهو مستحيل، إذن، يستلزم تعدد الآلهة بالضرورة اختلافًا في مجالات تصرفاتهم، والإله الذي لا تنفذ إرادته في بعض الموجودات لا يمكن اعتباره إلهًا كليًا، هذا الاختلاف في الإرادات ينبع من تباين مصالح "رعاياهم" أو مناطق نفوذهم، فكل إله يغار على سلطانه، فثبت أن التعدد يستلزم اختلاف الإرادات وحدوث الخلاف، ولما كان التماثل في حقيقة الإلهية يقتضي التساوي في قوة قدرة كل إلهٍ منهم، وكان مقتضيًا تمام المقدرة عند تعلق الإرادة بالقهر للضد بأن لا يصده شيء عن استئصال ضده، وكل واحد منهم يدفع عن نفسه بغزو ضده وإفساد ملكه وسلطانه، تعين أنه كلما توجه واحد منهم إلى غزو ضده أن يهلك كل ما هو تحت سلطانه، فلا يزال يفسد ما في السماوات والأرض عند كل خلاف، كما قال تعالى:﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ٩١ ﴾ [1]، فلا جرم دلت مشاهدة دوام السماوات والأرض على انتظامهما في متعدد العصور والأحوال على أن إلهها واحد غير متعدد[2].

وهذا توجيه رائع لابن عاشور، وله أثر عظيم علي الأمن الفكري، نلخصه في الآتي:

- **ترسيخ التوحيد:** يُقدم ابن عاشور برهانًا عقليًا متينًا على استحالة تعدد الآلهة وضرورة الوحدانية، مما يُحصّن الفكر من الشرك والشبهات التي قد تُثار حول وجود إله واحد.
- **القضاء على الفوضى الفكرية:** تصور تعدد الآلهة يؤدي إلى فوضى عقلية ومنطقية (اجتماع مؤثرين على معلول واحد، وغياب الشمولية)، وابن عاشور يُقدم نموذجًا فكريًا يُعيد النظام والوضوح إلى تصور الإنسان عن الكون والخالق، مما يُعزز الأمن الفكري.
- **بناء اليقين:** هذا الدليل العقلي يزيد من يقين المؤمنين بوحدانية الله، ويُمكنهم من دحض حجج المشككين أو دعاة التعدد، مما يُقوي عقيدتهم ويدعم استقرارهم الفكري.
- تجنب النزاع والصراع: فكرة أن "كل يغار على ما في سلطانه" تُشير ضمنيًا إلى أن تعدد السلطات الإلهية سيؤدي إلى نزاع وتضارب، هذا يُسقط منطق تعدد الإلهة، ويُظهر أن التوحيد هو أساس النظام والانسجام، ليس فقط في الكون، بل في الفكر البشري أيضًا، مما يُسهم في الأمن المجتمعي بمنع النزاعات الفكرية التي قد تتحول إلى صراعات.

(١) سورة المؤمنون: جزء من الآية رقم ٩١.

(٢) التحرير والتنوير ٣٩-٤٠/١٧.

ويقول ايضا في تفسيره لقوله تعالي: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [1] موقع الجملة موقع تعليل، أي أنك أيها الإنسان تسأل عما تسنده إلى سمعك وبصرك وعقلك بأن مراجع القفو المنهي عنه إلى نسبة لسمع أو بصر أو عقل في المسموعات والمبصرات والمعتقدات، وهذا أدب خلقي عظيم، وهو أيضا إصلاح عقلي جليل يعلم الأمة التفرقة بين مراتب الخواطر العقلية بحيث لا يختلط عندها المعلوم والمظنون والموهوم، ثم هو أيضًا إصلاح اجتماعي جليل يجنب الأمة من الوقوع والإيقاع في الأضرار والمهالك من جراء الاستناد إلى أدلة موهومة.[2]

يُقدم الطاهر بن عاشور في هذا النص قاعدة منهجية عظيمة من خلال مفهوم "القفو"[3] (عدم اتباع ما لا علم لك به)، والتي تُشكل ركيزة أساسية للأمن الفكري والمجتمعي في واقعنا المعاصر، ويربط ابن عاشور هذه القاعدة بوضوح بين سلامة الفكر واستقرار المجتمع من خلال الآتي:

١. إصلاح العقل وتحقيق الأمن الفكري:

تمييز مراتب المعرفة: يؤكد ابن عاشور أن النهي عن القفو يعلّم الأمة "التفرقة بين مراتب الخواطر العقلية"؛ فلا يختلط لديها المعلوم (اليقيني)، والمظنون (الراجح)، والموهوم (الضعيف أو الباطل)، هذا التمييز جوهري للأمن الفكري؛ لأنه يسلح الفرد بآلية نقدية تُمكنه من غربلة الأفكار والمعلومات الهائلة التي يتعرض لها اليوم.

بناء فكر منهجي: يرسخ هذا المفهوم الأدب الخلقي العظيم، والإصلاح العقلي الجليل، الذي يدعو إلى الاستناد في كل ما يُسند إلى السمع والبصر والعقل إلى مرجعية صحيحة، وفي زمن انتشار الأخبار الكاذبة والشائعات والتضليل، يُصبح هذا المنهج ضرورة قصوى لتحصين الأفراد من الانجرار وراء المعلومات غير الموثوقة، أو الأفكار الهدامة التي لا تقوم على أساس سليم.

---

(١) سورة الإسراء: آية رقم ٣٦.

(٢) التحرير والتنوير ١٠١/ ١٥.

(٣) مصطلح "القفو" الذي أشرتَ إليه، والذي ورد تفسيره في سياق الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، يُعدّ من المفاهيم المحورية التي أولاها الإمام محمد الطاهر بن عاشور أهمية خاصة في تفسيره "التحرير والتنوير".

يُعرّف ابن عاشور "القفو" بأنه "تتبع ما ليس له به علم" أو "تتبع القول أو الفعل أو الحالة، ونقلها من غير علم". وهو يشمل عدة جوانب:

القفو في الأخبار والأقوال: ويعني عدم نقل الأخبار أو الشهادات دون التحقق من صحتها، وعدم ترديد الشائعات أو الأقاويل التي لا تستند إلى دليل يقيني أو ظن غالب. فالإنسان مسؤول عن كل ما يصدر عنه من أقوال وتصديقات، وما يُسنده إلى حواسه وعقله.

القفو في المعتقدات والأفكار: يشمل هذا البُعد عدم تبني الأفكار أو المعتقدات دون إعمال للعقل والنظر في أدلتها. يدعو ابن عاشور إلى التمييز بين مراتب المعرفة (المعلوم، المظنون، الموهوم) لضمان سلامة الفكر من الانحراف أو الوقوع في الأوهام والخرافات.

القفو في السلوك والأفعال: يتضمن كذلك عدم تقليد الآخرين في أفعالهم وسلوكياتهم دون بصيرة أو فهم للحكمة منها، خاصة تلك التي قد تكون منكرة أو ضارة. راجع: التحرير والتنوير، المجلد ال١٥، ص٧٨، بتصرف.

منع التضليل والجهل: عندما يتمكن الفرد من التفرقة بين مراتب المعرفة، فإنه يحمي عقله من التضليل والوقوع فريسة للجهل المُركب، وهذا يقلل من احتمالية تبني الأفكار المتطرفة أو غير العقلانية التي تُهدد الأمن الفكري للفرد والمجتمع.

٢. تجنيب الأمة الأضرار وتحقيق الأمن الاجتماعي:

حماية المجتمع من الأضرار والمهالك: يرى ابن عاشور أن هذا الأدب العقلي "أيضًا إصلاح اجتماعي جليل يجنب الأمة من الوقوع والإيقاع في الأضرار والمهالك من جراء الاستناد إلى أدلة موهومة"، وهذا يُظهر الأثر المباشر للأمن الفكري على الأمن الاجتماعي.

منع الفتن والاضطرابات: في الواقع المعاصر، غالبًا ما تكون الأزمات والفتن المجتمعية ناتجة عن الاستناد إلى معلومات خاطئة، أو تبني أفكار مغلوطة تؤدي إلى نزاعات، عنف، وتفكك، وعندما يتم حظر "القفو" ويُدرب الأفراد على التحقق من مصادر معلوماتهم وأفكارهم، فإن ذلك يقلل بشكل كبير من احتمالية إثارة الفتن والإضرار بالسلم الاجتماعي.

بناء مجتمع واعٍ ومسؤول: الالتزام بهذا المنهج يُسهم في بناء مجتمع أفراده على درجة عالية من الوعي والمسؤولية في التعامل مع المعلومات، وهذا الوعي يُعزز الثقة المتبادلة بين الأفراد ويُقلل من الشكوك غير المبررة، مما يُسهم في تحقيق استقرار اجتماعي شامل.

باختصار: يُقدم ابن عاشور من خلال تفسيره لمفهوم "القفو" إطارًا متينًا للأمن الفكري يقوم على التحقق، والتدبر، والتمييز بين مراتب المعرفة. هذا الإطار لا يُحصّن العقل الفردي فحسب، بل يُسهم بشكل مباشر في حماية المجتمع من الأضرار والمهالك الناجمة عن تبني الأفكار الموهومة، مما يُعزز الأمن الاجتماعي في ظل تحديات الواقع المعاصر.

المطلب الثاني: معالجة الانحرافات الفكرية وعلاقتها بالأمن الفكري عند الطاهر بن عاشور:

يُعدّ الأمن الفكري حجر الزاوية في استقرار المجتمعات وازدهارها، فهو الحصن المنيع الذي يحمي الأفراد من الوقوع في براثن الأفكار الهدامة التي تهدد كيانهم العقدي والاجتماعي، وفي عالمنا المعاصر الذي يتميز بتدفق المعلومات وتنوع الأيديولوجيات، تبرز أهمية معالجة الانحرافات الفكرية كضرورة ملحة للحفاظ على هذا الأمن، وقد أدرك العلماء الربانيون، ومنهم الإمام محمد الطاهر بن عاشور، هذه الأهمية مبكرًا، فجاءت أعماله الفكرية، لاسيما تفسيره "التحرير والتنوير"، لتُقدم منهجًا فريدًا في تحصين الفكر من الزيغ، وتأصيل العقيدة الصحيحة، وتوجيه العقل نحو الصواب. تستكشف هذه المقدمة الرؤية العميقة لابن

عاشور في تشخيص الانحرافات الفكرية وسبل معالجتها، وكيف تتكامل هذه المعالجة مع مفهوم الأمن الفكري الشامل، مما يجعله مرجعًا أساسيًا في مواجهة التحديات الفكرية الراهنة.

وما يدلل علي ذلك توجيه ابن عاشور لتفسير قوله تعالي: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾[1] وقال تعالي: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٩٦﴾ ﴾ [2]

قال ابن عاشور: السلطان: البرهان المبين، أي المظهر صدق الجائي به، وهو الحجة العقلية أو التأييد الإلهي.[3]

والمقصود بيان أن الله تعالى أرسل رسله وكلهم جاؤوا بالبينات وهي الدلائل الواضحات والمعجزات القاهرات والبراهين القاطعات، فما من نبي إلا وقد بعثه الله بالحجة والكتاب، كل هذا يأتي لقطع حجة كل متعذر مبطل، أو ملحد جاحد أو دحض شبهة زائغ، أو دمغ باطل كل أفاك أثيم، وفيه أيضًا تعليم لأتباع الأنبياء بالتمسك بالحجج، وإيراد البراهين على خصوم الدعوة، وإقامة الأدلة على كل قضية من القضايا العلمية أو الاجتماعية أو السياسية أو غيرها.

فلا جرم أن كل قضية لا تحتكم إلى دليل ولا تستند إلى برهان فهي مخالفة للمنهج الذي أتى به رسل الله تعالى، فتكون كذلك مخالفة لمقصد القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ [4].[5]

ويهدف توجيه هذه الآيات إلى توضيح أن الله تعالى أرسل جميع رسله مزودين بالبينات الواضحات، والمعجزات القاهرات، والبراهين القاطعات، كل نبي بُعث بالحجة والكتاب، وذلك لقطع الطريق على كل معتذر، أو مبطل، أو ملحد جاحد، كما جاءت هذه البينات لدحض شبهات الزائغين، ودمغ باطل كل أفاك أثيم.

ويتضمن هذا المنهج الإلهي تعليمًا لأتباع الأنبياء بضرورة التمسك بالحجج، وتقديم البراهين القوية لخصوم الدعوة، وإقامة الأدلة الدامغة على كل قضية علمية، أو اجتماعية، أو سياسية، وغيرها، وهذا النهج يرسخ الأمن الفكري من خلال:

---

(١) سورة الحديد: جزء من الآية رقم ٢٥.

(٢) سورة هود: آية رقم ٩٦.

(٣) التحرير والتنوير ١٢/١٥٥.

(٤) سورة النساء: الآية رقم ١٦٥.

(٥) مقصد إصلاح التفكير الإنساني، ٦٤.

- **دعم اليقين العقدي:** بتقديم البراهين والمعجزات، يزول الشك ويثبت اليقين في قلوب المؤمنين، مما يحصنهم من الشبهات ويقوي عقيدتهم.
- **بناء الفكر النقدي:** تشجيع الأتباع على التمسك بالحجج وتقديم الأدلة يعلمهم منهجًا علميًا في التفكير، قادرًا على تمييز الحق من الباطل، ويمنعهم من الانسياق وراء الأفكار الهدامة أو المغالطات.
- **إرساء العدل المعرفي:** إقامة الأدلة على كل قضية يضمن أن القرارات والأحكام، سواء كانت علمية أو اجتماعية أو سياسية، تستند إلى أساس متين من الحجة والبرهان، مما يحمي المجتمع من الظلم الفكري الناتج عن التكهنات أو الأهواء.

وفي قوله تعالي: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ [1]، قال الطاهر بن عاشور مُفَسِّرًا الآية المباركة: إذا نظرت إلى الآية مستقلة عما تضمنه حديث عائشة[2] في وصف سبب نزولها كان الاستئناف ناشئا عن سؤال يجيش في خاطر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقول: كيف أقرأ وأنا لا أحسن القراءة والكتابة، فأجيب بأن الذي علم القراءة بواسطة القلم، أي بواسطة الكتابة يعلمك ما لم تعلم، وإذا قرنت بين الآية وبين الحديث المذكور كان الاستئناف جوابا عن قوله لجبريل: «ما أنا بقارئ» فالمعنى: لا عجب في أن تقرأ، وإن لم تكن من قبل عالما بالقراءة، إذ العلم بالقراءة يحصل بوسائل أخرى، مثل الإملاء والتلقين والإلهام، وقد علم الله آدم الأسماء ولم يكن آدم قارئا.[3]

ويُقدم الطاهر بن عاشور في تفسيره للآية الكريمة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] رؤية عميقة تتجاوز مجرد التفسير اللغوي، لتلامس جوهر الأمن الفكري وتأثيره على الواقع المعاصر، ويربط ابن عاشور بين أول آية نزلت في القرآن وبين قيمة العلم والمعرفة والإلهام الإلهي، مما يُشكل أساسًا قويًا لتحقيق الأمن الفكري على المستويين الفردي والمجتمعي، ويبرز هذا التوجيه عند ابن عاشور الآتي:

١. إرساء قيمة العلم كحصن للأمن الفكري:

العلم أساس التلقي: يُفسر ابن عاشور الآية بأنها جواب عن تساؤل النبي صلى الله عليه وسلم "كيف أقرأ وأنا لا أحسن القراءة والكتابة؟"، ليأتي الجواب بأن الله الذي علّم بالقلم

(١) سورة العلق: آية رقم ١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ج١، ص ٤، برقم ٣.

(٣) التحرير والتنوير ٣٠/٤٣٤.

قادر على أن يُعلم النبي ما لم يكن يعلم، وهذا التأويل يُعلي من قيمة العلم والمعرفة كشرط أساسي للتلقي والوعي.

أثره على الواقع المعاصر: في عصرنا الحالي، حيث تتضخم المعلومات ويتزايد التضليل، يُصبح التأكيد على أن القراءة والعلم هما مفتاح الفهم الصحيح حجر الزاوية للأمن الفكري، وهذا يُحفز الأفراد على طلب العلم والتحقق من مصادر المعرفة، مما يُحصنهم من الانجراف وراء الشائعات والأفكار غير المستندة إلى دليل، فالفكر المستنير هو الفكر الآمن.

٢. تجاوز الوسائل التقليدية للمعرفة وفتح آفاق الإلهام:

مصادر المعرفة المتعددة: يُوضح ابن عاشور أن العلم بالقراءة لا يقتصر على القلم (الكتابة)، بل يشمل "الإملاء والتلقين والإلهام"، وهذا يوسع دائرة مصادر المعرفة الإنسانية لتشمل طرقًا غير تقليدية، مع التأكيد على أن المعلم الحقيقي هو الله تعالى، فكما علّم الله آدم الأسماء ولم يكن قارئًا، فهو قادر على تعليم نبيه بغير الطرق المعتادة.

أثره على الواقع المعاصر: هذه النظرة تفتح آفاقًا واسعة للأمن الفكري من خلال:

تشجيع التفكير الإبداعي: تُبعد هذه الرؤية الفكر عن الجمود والتقيد بالوسائل التقليدية للمعرفة فقط، مما يُشجع على الإبداع والتفكير خارج الصندوق في حل المشكلات، وهو ما تحتاجه المجتمعات المعاصرة للتقدم.

تعزيز الثقة بالمعرفة الغيبية: تُرسخ هذه الرؤية الإيمان بأن هناك مصادر للمعرفة تتجاوز الحواس، مثل الإلهام والتوفيق الإلهي، مما يُقوي اليقين بالله ويُعزز الأمن الفكري في مواجهة المادية الطاغية التي قد تُنكر أي مصدر للمعرفة خارج نطاق الحس.

التصدي لمحدودية العقل البشري: عندما يدرك الإنسان أن هناك علمًا يأتي من الله مباشرة، فإنه يعي محدودية قدراته الذاتية، مما يجنبه الغرور الفكري ويدفعه إلى التواضع العلمي والبحث الدائم عن الحقيقة.

٣. دور القراءة في بناء الأمن المجتمعي:

القراءة كأداة للتنوير: على الرغم من أن النص يركز على النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أن الأمر بالقراءة هو أمر عام للأمة، فالقراءة ليست مجرد تحصيل معلومات، بل هي عملية تنوير للعقول تُسهم في بناء وعي جمعي يستطيع تمييز الحق من الباطل.

أثره على الواقع المعاصر: مجتمع قارئ هو مجتمع أكثر وعيًا، وأقل عرضة للاستقطاب الفكري أو الانجرار وراء الدعوات المتطرفة، فالقراءة تُثري الفكر، وتوسع

المدارك، وتُعزز التسامح والتفاهم بين أفراد المجتمع، مما يُسهم بشكل مباشر في تحقيق الأمن المجتمعي، حيث يقل فيه الفساد، وتزيد فيه قيم التآزر والتعاون.

باختصار: يُبرز تفسير ابن عاشور للآية الأولى من سورة العلق أن الاستجابة للأمر الإلهي بالقراءة والعلم بشتى وسائله هي اللبنة الأولى لبناء الأمن الفكري، وهذا الأمن لا يقتصر على تحصين الفرد من الانحرافات، بل يمتد ليشمل تحقيق استقرار المجتمع وتماسكه من خلال بناء أفراد واعين، مفكرين، قادرين على التمييز بين الحق والباطل في عالم يضج بالتناقضات.

المطلب الثالث: المناظرة ودورها في تعزيز الأمن الفكري عند الطاهر بن عاشور:

قد أولى الإمام محمد الطاهر بن عاشور، بصفته أحد أبرز رواد التجديد والإصلاح في الفكر الإسلامي الحديث، اهتمامًا كبيرًا لدور المناظرة في البكرية وفي تعزيز الأمن الفكري، فقد أدرك ابن عاشور، من خلال منهجه المقاصدي وعمق بصيرته، أن الحوار القائم على الدليل والبرهان هو السبيل الأمثل لترسيخ اليقين، ومواجهة الأفكار الهدامة، وتحصين العقول من الزيغ والضلال.

وهذا المدخل سيتناول كيف نظر ابن عاشور إلى المناظرة، وإسهامها في تحقيق الأمن الفكري، وكيف يمكن الاستفادة من رؤاه في معالجة التحديات الفكرية المعاصرة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (١)

يقول ابن عاشور: ومن نكت القرآن المغفول عنها تقييد هذا الفعل بالظرف، فإن الذي يتبادر إلى الذهن أن محل المذمة هو أنهم يقولون إنما نحن مصلحون مع كونهم مفسدين، ولكن عند التأمل يظهر أن هذا القول يكون قائلوه أجدر بالمذمة حين يقولونه في جواب من يقول لهم لا تفسدوا في الأرض؛ فإن هذا الجواب الصادر من المفسدين لا ينشأ إلا عن مرض القلب، وأفن الرأي؛ لأن شأن الفساد أن لا يخفى، ولئن خفي فالتصميم عليه واعتقاد أنه صلاح بعد الإيقاظ إليه والموعظة إفراط في الغباوة أو المكابرة، وجهل فوق جهل، وعندي أن هذا هو المقتضي لتقديم الظرف على جملة قالوا ... ، لأنه أهم، إذ هو محل التعجيب من حالهم، ونكت الإعجاز لا تتناهى(٢).

(١) سورة البقرة: آية رقم ١١-١٢.

(٢) التحرير والتنوير ١/٢٨٣.

وتكمن النكتة المقصدية هنا في تسليط الضوء على الجانب التنظيري للحوار الدائر بين أهل الحق والباطل، ومن الضروري استكمال تصور هذا الحوار بين أصحاب الأفكار الباطلة والمصلحين الذين يردون عليهم، فالفكر الفاسد غالبًا ما ينبع من اعتقاد منحرف، ولذلك، يجب أن تُرد الحجج الباطلة إلى أصولها الاعتقادية الفاسدة التي أنتجتها.

ويستلزم هذا الأمر الحذر الشديد من أصحاب المقالات الفاسدة والاعتقادات المنحرفة، بالإضافة إلى ذلك، يتوجب علينا تعلم المنهج القرآني في الرد عليهم وكشف زيف أفكارهم، وهذا الفهم المقاصدي للحوار ليس مجرد جدال، بل هو عملية أساسية لتحصين الفكر السليم وكشف مصادر الانحراف، مما يعزز الأمن الفكري للمجتمع.

ويركز ابن عاشور على "النكتة المقصدية" في تقييد هذا الفعل بالظرف، أي أن المذمة ليست فقط في قولهم "نحن مصلحون" وهم مفسدون، بل الأشد ذمًا هو قولهم ذلك في جواب من يقول لهم "لا تفسدوا في الأرض"، ويبرز هذا التوجيه عند ابن عاشور الآتي:

١. كشف زيف المفسدين وتحصين الأمن الفكري:

الأمن الفكري ضد التضليل المتعمد: يوضح ابن عاشور أن هذا الجواب من المفسدين ينشأ عن "مرض القلب وأفن الرأي"؛ لأن الفساد لا يخفى، وتصميم المفسد عليه واعتقاده أنه صلاح بعد التنبيه والموعظة هو "إفراط في الغباوة أو المكابرة وجهل فوق جهل"، وهذا التحليل الدقيق يُعد حجر زاوية في الأمن الفكري، فالمفسدون لا يكتفون بالفساد، بل يسعون إلى شرعنته وتبريره، بل وتقديم أنفسهم في ثوب المصلحين.

أثره على الواقع المعاصر: في عصرنا الحالي، يتجلى هذا النمط بوضوح. تُروج بعض الجماعات المتطرفة أو الأطراف المفسدة لأفكارها وسلوكياتها الهدامة تحت شعارات براقة مثل "الإصلاح"، "العدل"، أو "الدفاع عن الدين"، وفكر ابن عاشور هنا يمنح الأفراد أداة تحليلية نقدية لعدم الاغترار بالظواهر، ويُحذر من الوقوع في فخ التضليل الفكري الذي يهدف إلى تجميل الباطل وتشويه الحق، إنه يدعو إلى البصيرة وعدم التسليم لأي دعوى إصلاح دون فحص لمقدماتها ونتائجها الحقيقية.

٢. أهمية التنبيه والموعظة في مواجهة الانحراف الفكري:

مسؤولية التنبيه: يلفت ابن عاشور الانتباه إلى أن المذمة تزداد حين يأتي جواب المفسد بعد "الإيقاظ إليه والموعظة"، هذا يعني أن دور التنبيه الفكري والموعظة الحسنة أساسي في كشف الفساد، فالصوت الذي ينادي بـ"لا تفسدوا في الأرض" هو أول خط دفاع عن الأمن الفكري.

أثره على الواقع المعاصر: هذا يُبرز أهمية العلماء والمفكرين والمؤسسات التوعوية والإعلامية في التصدي للأفكار المنحرفة، ومسؤوليتهم تكمن في كشف زيف هذه الأفكار وتعرية أصحابها، وتحذير المجتمع من الانسياق وراءها، حتى لو زعموا الإصلاح، فالمناعة الفكرية لا تُبنى إلا بالوعي المستمر والتصدي لكل محاولة لتشويه الحقائق.

٣. العقل كأداة للتمييز والحصانة:

دور العقل في كشف المرض: يؤكد ابن عاشور ضمنيًا على قدرة العقل السليم على إدراك الفساد، وأن الاستمرار فيه بعد الإيقاظ يدل على "مرض القلب وأفن الرأي"، فالعقل هو الأداة التي تميز بين الصلاح والفساد.

أثره على الواقع المعاصر: في ظل تعقيدات القضايا الفكرية المعاصرة، يُصبح الاعتماد على العقل المستنير والفكر السليم ضرورة قصوى، وفكر ابن عاشور يُقوي الثقة بقدرة العقل على التمييز بين المشاريع الحقيقية للإصلاح والمشاريع المضللة التي تتخفى وراءها الأغراض الشخصية أو الأيديولوجيات الهدامة، وهذا يساهم في بناء أفراد لديهم حصانة فكرية ذاتية ضد أي محاولة لاستغلالهم أو تضليلهم.

باختصار: يُقدم ابن عاشور تحليلًا نفسيًا ومعرفيًا لظاهرة المفسد الذي يزعم الإصلاح، ويربطها بشكل وثيق بمفهوم الأمن الفكري، وتُفيدنا هذه الرؤية في الواقع المعاصر بتعزيز قدرتنا على كشف التضليل، وفضح الأجندات الخفية التي تتستر خلف الشعارات الزائفة، وتأكيد دور العقل الواعي والموعظة المستمرة في حماية المجتمعات من الأفكار الهدامة التي تُهدد استقرارها.

المطلب الرابع: ترشيد العاطفة وطمأنينة النفس ودوره في تعزيز الأمن الفكري عند الطاهر بن عاشور:

يُعدّ الأمن الفكري ركيزة أساسية لاستقرار الفرد والمجتمع – كما ذكرنا من قبل – فهو الحصن المنيع الذي يحمي العقول من الانحراف والاضطراب، وفي هذا السياق، يبرز دور العاطفة كقوة دافعة يمكن أن تكون بناءة أو هدامة، حسب توجيهها، وقد أدرك الإمام محمد الطاهر بن عاشور، بمنهجه المقاصدي وعمق بصيرته، الأهمية المحورية لترشيد العواطف وتوجيهها نحو ما يُحقق طمأنينة النفس، باعتبارها أساسًا متينًا لتعزيز الأمن الفكري.

فالعواطف غير المنضبطة قد تُؤدي إلى الغلو والتطرف، أو على النقيض إلى اليأس واللامبالاة، وكلاهما يُهدد سلامة الفكر، لذا، يستكشف هذا المدخل كيف أن رؤية ابن عاشور تُقدم إطارًا متكاملًا لضبط الانفعالات، وتوجيه المشاعر نحو ما يتوافق مع مقتضيات الشرع

والعقل، مما يُفضي إلى سكينة داخلية تُعزز القدرة على التفكير السليم، وتُحصّن الأفراد من الانجرار وراء الأفكار الهدامة، وبالتالي تُسهم في بناء مجتمع آمن فكريًا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ (١)

يقول الطاهر بن عاشور في تفسيره للآية الكريمة: قوله ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ أي أشد حبا لله من محبة أصحاب الأنداد أندادهم، على ما بلغوا من التصلب فيها، ومن محبة بعضهم لله ممن يعترف بالله مع الأنداد، لأن محبة جميع هؤلاء المحبين وإن بلغوا ما بلغوا من التصلب في محبوبيهم لما كانت محبة مجردة عن الحجة لا تبلغ مبلغ أصحاب الاعتقاد الصميم المعضود بالبرهان، ولأن إيمانهم بهم لأغراض عاجلة كقضاء الحاجات ودفع الملمات بخلاف حب المؤمنين لله، فإنه حب لذاته وكونه أهلا للحب، ثم يتبع ذلك أغراض أعظمها الأغراض الآجلة لرفع الدرجات وتزكية النفس(٢).

حقًا، إن محبة الله محبة فطرية ذاتية، فهو سبحانه وتعالى أهلٌ لأن يُحب بحق، لما يتصف به من جليل الصفات وعظيم الفضل، غير أن كثيرًا من الناس يكفرون بهذه النعم ويجحدونها، فهو المنعم على عباده ابتداءً دون أن يسألوه، أوجدهم، ورزقهم ما تحتاجه أبدانهم من الغذاء، وأرسل إليهم الرسل عليهم السلام ليكمل عليهم النعمة، فيمدّهم بما يحيي قلوبهم من الوحي والكتاب.

وهو سبحانه يسمع ويرى أفعالهم، ويعلم خفايا صدورهم، ومع كثرة ذنوبهم وإراداتهم الفاسدة، فهو حليم لا يعاجل بالعقوبة، وهو أجمل الموجودات وأطيبها، بل هو أحسن ما يُعرف من الذوات، وكل ما نراه من عطف ورحمة في هذا الوجود إنما هو أثر من رحمته، إذ أظهر منها جزءًا واحدًا، وادّخر تسعةً وتسعين جزءًا ليوم القيامة.

فلا ريب أن الله سبحانه وتعالى هو أهلٌ للحمد والثناء والمجد، ومن ثمّ فهو مستحقّ للمحبة الصادقة الخالصة.

وإذا تبيّن هذا وعرفه القلب، ارتقى بصاحبه إلى المقام الرفيع والنتيجة الحتمية لهذا الإيمان الصادق، وهي: صلاح البال، ذلك المقام العالي الذي يُوهب لمن وجّه عاطفته وولاءه إلى الله جل جلاله.

---

(١) سورة البقرة: آية رقم ١٦٥.

(٢) التحرير والتنوير ٢/٩٢.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ۝٢ ﴾

يقول الطاهر بن عاشور: البال: يطلق على القلب، أي العقل وما يخطر للمرء من التفكير وهو أكثر إطلاقه ولعله حقيقة فيه ... وإصلاح البال يجمع إصلاح الأمور كلها؛ لأن تصرفات الإنسان تأتي على حسب رأيه، فالتوحيد أصل صلاح بال المؤمن، ومنه تنبعث القوى المقاومة للأخطاء والأوهام التي تلبس بها أهل الشرك، وحكاها عنهم القرآن في مواضع كثيرة، والمعنى: أقام أنظارهم وعقولهم فلا يفكرون إلا صالحا ولا يتدبرون إلا ناجحا(١).

ويُقدم الإمام الطاهر بن عاشور تحليلًا عميقًا لمكانة محبة الله في سورة البقرة، ويربطها بشكل وثيق بمفهوم "صلاح البال" في سورة محمد، ليُشكل بذلك رؤية متكاملة لأمن الفكري وتأثيره على الواقع المعاصر، ويوضح ابن عاشور أن محبة المؤمنين لله ليست مجرد عاطفة، بل هي اعتقاد صميم معضود بالبرهان، وهو ما يُفارق محبة أصحاب الأنداد التي تقوم على الأغراض العاجلة، ويبرز هذا التوجيه عند ابن عاشور الآتي:

١. محبة الله كقاعدة للأمن الفكري:

تميز المحبة الحقيقية: يرى ابن عاشور أن المؤمنين "أشد حبًا لله" من أصحاب الأنداد لأندادهم، لأن محبة المؤمنين تنبع من كون الله أهلًا للحب بذاته، وتتبعها أغراض آجلة كرفع الدرجات وتزكية النفس، بينما محبة المشركين قائمة على أغراض عاجلة (قضاء الحاجات ودفع الملمات) وهي "محبة مجردة عن الحجة".

أثرها على الواقع المعاصر:

تحصين الفكر من الانتهازية: في عصر تتصارع فيه الأيديولوجيات وتكثر فيه الدعوات التي تُبنى على المصالح الضيقة أو الأغراض الدنيوية، يُعد هذا التمييز جوهريًا للأمن الفكري.

يدعو ابن عاشور إلى بناء محبة ويقين قائم على البراهين العقلية والفطرية، لا على مجرد المنافع العاجلة أو العواطف المتغيرة، وهذا يُحصن الفرد من الانجرار وراء أي فكر أو جماعة تُقدم وعودًا عاجلة زائفة مقابل التنازل عن المبادئ.

(١) التحرير والتنوير ٢٦/٧٦.

بناء إرادة صلبة: المحبة لله لذاته تُولد في النفس قوة وثباتًا، لأنها لا تتغير بتغير الظروف، وهذه القوة تُسهم في تحقيق الأمن الفكري، لأنها تجعل الفرد قادرًا على الصمود أمام الشبهات والتحديات الفكرية، ولا يتأثر بزيف الوعود الدنيوية.

٢. صلاح البال: النتيجة الحتمية للإيمان والأمن الفكري:

مفهوم البال ودلالته الشاملة: يوضح ابن عاشور أن "البال" يُطلق على القلب والعقل وما يخطر للمرء من التفكير، وأن "إصلاح البال يجمع إصلاح الأمور كلها؛ لأن تصرفات الإنسان تأتي على حسب رأيه"، وهذا المفهوم الشامل للبال يُشير إلى أن الأمن الفكري يتجاوز مجرد سلامة العقيدة، ليشمل صلاح التفكير والتصرفات.

التوحيد كأصل صلاح البال: يُؤكد ابن عاشور أن "التوحيد أصل صلاح بال المؤمن"، وأنه "منه تنبعث القوى المقاومة للأخطاء والأوهام التي تلبس بها أهل الشرك"، بمعنى أن توحيد الله وإفراده بالعبادة هو الأساس الذي يُبنى عليه العقل السليم والتفكير الصحيح.

أثرها على الواقع المعاصر:

الطمأنينة النفسية والاستقرار الفكري: في زمن تكثر فيه القلاقل النفسية والضغوطات الفكرية، يُعد صلاح البال هو الغاية المنشودة، فالإيمان بالله ومحبته يُنتج طمأنينة نفسية تُبعد القلق والاضطراب، مما يُمكن العقل من التفكير بوضوح واتزان، وهذا يُعد جوهر الأمن الفكري، حيث يكون الفرد قادرًا على مواجهة تحديات الحياة بمعنويات عالية وفكر مستقيم.

مقاومة الأخطاء والأوهام: صلاح البال المستمد من التوحيد يُزود المؤمن بـ"القوة المقاومة للأخطاء والأوهام"، هذا يعني أن المؤمن لا ينجرف بسهولة وراء الأفكار الضالة، أو النظريات المتطرفة، أو الشبهات المعقدة، فالتوحيد يمنحه بصيرة تُفرق بين الحق والباطل، ويُحصنه من التضليل المنتشر في الفضاءات الفكرية المعاصرة.

التفكير الصالح والتدبر الناجح: عندما تُقام "أنظارهم وعقولهم فلا يفكرون إلا صالحًا ولا يتدبرون إلا ناجحًا"، فإن ذلك يُسهم في بناء مجتمع تُوجه فيه الطاقات الفكرية نحو البناء والازدهار بدلًا من الهدم والتخريب، وهذا يُحقق الأمن المجتمعي من خلال توجيه العقول نحو كل ما هو نافع ومفيد، بعيدًا عن الأفكار التي قد تُؤدي إلى الفوضى أو العنف.

وفي الختام: يربط ابن عاشور ببراعة بين محبة الله الصادقة وصلاح البال، جاعلًا من توحيد الله المحرك الأساسي للعواطف والعقل معًا، وهذه الرؤية تُعد منهجًا متكاملًا لتعزيز

الأمن الفكري في الواقع المعاصر، عبر بناء أفراد لديهم قناعات راسخة، وطمأنينة نفسية، وقدرة على التفكير الصالح، مما يُسهم في إرساء مجتمعات آمنة ومستقرة.

الخاتمة:

لقد كشفت النصوص التي تم تحليلها عن رؤية متكاملة للإمام محمد الطاهر بن عاشور في بناء الأمن الفكري، مستندة إلى فهم عميق لمقاصد الشريعة ودورها في إصلاح الفرد والمجتمع.

و لم يكن ابن عاشور مجرد مفسر، بل كان مفكرًا مقاصديًا سعى إلى تحصين الأمة من الداخل والخارج، عبر منهج يربط بين سلامة العقيدة، صحة العقل، وتقويم العاطفة، وواقع الأمة المعاصر.

أولاً: النتائج:

ـ **الأمن الفكري كقاعدة لمقاصد الشريعة:** يتضح أن الأمن الفكري يمثل ركيزة أساسية ضمن مقاصد الشريعة عند ابن عاشور، فهو لا ينفك عن مقاصد حفظ الدين، العقل، النفس، والمال، وسلامة الفكر تُعد شرطًا ضروريًا لتحقيق هذه المقاصد وحمايتها من التلوث.

ـ **إعلاء قيمة العقل والعلم:** يؤكد ابن عاشور على ضرورة إعمال العقل وتوجيهه نحو معرفة الحق ودحض الباطل، محذرًا من إهماله الذي يُعد سببًا للعذاب، كما يشدد على أن العلم والقراءة هما مفتاح الفهم الصحيح، وأن مصادر المعرفة تتجاوز مجرد القلم لتشمل الإلهام والتلقين، وهذا يرسخ منهجًا علميًا ونقديًا في التعامل مع الأفكار.

ـ **العقيدة السليمة أساس الطمأنينة الفكرية:** يرى ابن عاشور أن إصلاح العقيدة وتوحيد الله هو المقصد الأسمى والأساس الذي تنبعث منه قوى مقاومة الأخطاء والأوهام، فالمحبة الحقيقية لله، المبنية على البرهان لا على الأغراض العاجلة، تُنتج صلاح البال وطمأنينة النفس، وهو جوهر الأمن الفكري.

ـ **فضح الانحرافات الفكرية وآلياتها:** يُقدم ابن عاشور تحليلًا دقيقًا لأساليب المفسدين الذين يزعمون الإصلاح، مشيرًا إلى أن زيفهم يتجلى أكثر عندما يُنبهون إلى فسادهم ثم يصرون عليه، وهذا يُسلح المجتمع بآلية لكشف التضليل والغزو الفكري الذي يهدف إلى تشويه العقائد والمبادئ.

ـ **المناظرة كأداة لترسيخ الحق:** يُبرز ابن عاشور دور المناظرة القائمة على الحجة والبرهان في إقرار الحقائق ودحض الشبهات، وهي ليست مجرد جدال، بل منهج لتعليم الأمة كيفية التمسك بالأدلة في مواجهة الخصوم، مما يُعزز الأمن الفكري بمنع انتشار الأفكار الباطلة.

ـ **ربط الفكر بالواقع العملي:** لم يقتصر فكر ابن عاشور على الجانب التنظيري، بل ربطه بواقع الأمة وتحدياتها، فقد حذر من عواقب ترك الجهاد والتناحر الداخلي، وفسر مظاهر

ضعف الأمة (مثل أسر الأندلس) كنتيجة للابتعاد عن تعاليم الدين، مؤكدًا على أن الأمن الفكري ينعكس مباشرة على الأمن الاجتماعي والوجودي للأمة.

ثانياً: التوصيات:

بناءً على هذه النتائج المستخلصة من فكر الإمام الطاهر بن عاشور، يمكن تقديم التوصيات التالية لتعزيز الأمن الفكري في الواقع المعاصر:

ـ **تعزيز المنهج العقلي النقدي:** يجب على المؤسسات التعليمية والدعوية التركيز على غرس مبادئ التفكير النقدي والتحليلي المستنير بالوحي، وتدريب الأجيال على تمييز المعلوم من الموهوم، والتأكد من صحة المعلومات قبل تبنيها أو نشرها، على غرار منهج ابن عاشور في تحذيره من "القفو".

ـ **تأصيل العقيدة الصحيحة ببرهان:** يجب إعادة صياغة الخطاب العقدي ليُقدم العقيدة ببراهينها الفطرية والعقلية، بعيدًا عن التقليد الأعمى، لتعزيز اليقين ومواجهة الشبهات الإلحادية والتكفيرية المعاصرة، استلهامًا من تركيز ابن عاشور على أن العقيدة الصادقة معضودة بالبرهان.

ـ **تنمية الوعي بخطر الغزو الفكري:** ينبغي للمجتمعات العمل على توعية أفرادها بأساليب الغزو الفكري والتضليل المتعمد، وكيفية ترويج الأفكار الهدامة تحت شعارات براقة، وذلك من خلال برامج توعوية مكثفة تستفيد من تحليل ابن عاشور لزيف المفسدين الذين يزعمون الإصلاح.

ـ **إحياء ثقافة المناظرة والحوار البناء:** يجب تشجيع الحوارات الفكرية والمناظرات العلمية القائمة على الدليل والاحترام، لتمكين العقول من تبادل الأفكار وتصويب الانحرافات، أسوةً بالدور الذي وصفه ابن عاشور للمناظرة في إقرار الحق ودمغ الباطل.

ـ **ربط الفكر بالواقع والتنمية الشاملة:** لا ينبغي فصل الأمن الفكري عن أمن المجتمع الشامل، ويجب أن تُوجه الطاقات الفكرية نحو معالجة التحديات الواقعية للمجتمع، وتحقيق التنمية الشاملة، وتعزيز التماسك الاجتماعي، فصلاح البال وسلامة الفكر ينعكسان على تقدم الأمة وازدهارها.

قائمة المراجع:

- أحذر العنف والعدوان، شعبان قزامل، منبر التوحيد والجهاد، بدون بيانات.
- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بنعمر الزمخشري، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- أضواء البيان، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.
- الأمن الفكري في مواجهة المؤثرات الفكرية، حيدر عبد الرحمن، ط١، ٢٠٠٢م.
- الأمن الفكري، عبد الرحمن السديس، وعبد الرحمن اللويحق، وحيدر عبد الرحمن، ضمن كتاب: الأمن الفكري، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ط١، ٢٠٠٥م.
- الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، بدون بيانات.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، دار العلم للملايين – بيروت، ط ٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.
- تحديات الأمن الفكري في ضوء المفاهيم الإسلامية، حسن السيد حامد خطاب، سلسلة من قضايا الفكر المعاصر، بدون ناشر، ٢٠٠٩م.
- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس،١٩٨٤م.
- تراث المسلمين العلمي في الاقتصاد، رفعت السيد العوضي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الإمارات، ط١، ٢٠٠٥م.
- تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م.
- التربية الأمنية في القرآن الكريم، عبد السلام حمدان اللوح، محمود هاشم عنبر، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية)، المجلد ١٤، العدد ١، يناير ٢٠٠٦م.
- تفسير الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
- تنمية الأمن الاجتماعي من منظور تربوي إسلامي، مشعل بن سيف الجعيد، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٨هـ.
- خطاب الأمن في الإسلام وثقافة التسامح والوئام، عبد الله الشيخ محفوظ، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ط١، ١٩٩٩م.
- دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، دار المعرفة، ط٣، ١٩٧١م.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن على بن حجر العسقلاني الشافعي (ت٨٥٢هـ)، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- كتاب مجلة البحوث الإسلامية ، مجموعة من المؤلفين، تمهيد، المكتبة الشاملة، بدون بيانات.
- لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.
- محمد الطاهر بن عاشور، علّامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، إياد خالد الطباع، دار القلم، دمشق، سلسلة علماء ومفكرون معاصرون، الكتاب ٢٦، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط جديدة، ١٤١٥هـ.
- مدخل إلى نظرية الأمن والإيمان في سعادة الإنسان وتقدم المجتمعات، عبد الوهاب محمود المصري، تقديم: وهبة الزحيلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، الرسالة ناشرون، بيروت لبنان، ط ٢، ٢٠١٥م.ظهور ونشأة الأمن الفكري، عبد الله الزهراني، بدون بيانات.
- معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨١م.
- معجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا، بدون تاريخ.
- معجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، المكتبة الإسلامية، استانبول، ط٢، بدون تاريخ.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية، أمل محمد أحمد عبد الله، بحث مكمل لدرجة الماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٨هـ.
- مفهوم الأمن الفكري، ماجد محمد الهذيلي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٣٣هـ.
- مقصد إصلاح التفكير الإنساني، محمد الطاهر بن عاشور، بدون بيانات.
- من أعلام الزيتونة، محمد الطاهر بن عاشور، د. بلقاسم الغالي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- موسوعة السياسة، عبد الوهاب الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٣، ١٩٩٥م.